14 me Année No. 658

Lundi — 11—2—1946

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٦٥٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ١١ فبراير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

شـــــئون عربية

فلسطين — شرقي الأردن

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

لا ندرى كيف نعلل سماح الحكومة البريطانية لليهود بأن يهاجر منهم إلى فلسطين ألف وخمسمائة كل شهر حتى تقدم لجنة التحقيق البريطانية الإنجليزية اقتراحاتها أو توصياتها ، وهى مكلفة أن تفعل ذلك فى أربعة أشهر .

فقد نقضت عهدها الصريح فى الكتاب الأبيض أن لايباح ليهودى أن يهاجر إلى فلسطين بعد انقضاء السنوات الخمس — وقد انقضت — ودخول العدد المنصوص عليه فى الكتاب ، وهو خمسة وسبعون ألفاً ، وقد دخلوا — إلا باذن العرب وموافقتهم ، وقد أبى العرب كل الإباء أن يأذنوا ويوافقوا .

ولسنا نظن أن أحداً سيزعم أن الحكومة البريطانية جنبت أى خير بنقضها هذا العهد . فإن ستة آلاف يؤذن لهم فى الهجرة إلى فلسطين فى أربعة شهور رقم ضئيل لايرضى اليهود أو يقنعهم ، ولا يتألفهم من نفرتهم ، ولا يسكن من ثائرتهم على بريطانيا ، ولا يغريهم بالكف عن قتل أبنائها فى بلاد فلسطين . وإذا قيل إنها فعلت ذلك مجاملة منها للرئيس ترومان ، قلنا : وما ستة آلاف ، وقد كان يطلب السماح لمائة ألف بالدخول ؟ وأين المجاملة

وقد مضى على طلبه هـذا شهور وشهور ألفت فى خلالها لجنة التحقيق وشرعت فى أداء ما وُكل إليها ؟ ومثل هذا يقال عما يزعمه البعض من أنها أرادت أن تظهر للكنغرس الأمريكى أن هواها مع اليهود ، وآية ذلك أنها نقضت الكتاب الأبيض بهذه الهجرة الجديدة ، وأول الغيث قطر كما يقولون . وبها حاجة إلى رضى الكنغرس الأمريكى ، حتى لا يرفض القرض الذى عقد لها فى أمريكا .

فلا هى أرضت اليهود ، ولا هى أحسنت المجاملة ، ولا أقنعت الكنغرس ، وكل ما كسبته بهذا النكث أنها أثبتت لليهود أنها ضعيفة ، وأنها توسعهم حلماً وليناً كلما أوسعوها عدواناً وأسرفوا فى تقتيل رجالها .

وأثبتت للعرب أنها لا وفاء لها ولا عهد . فما حاسبها أحد محاسنة العرب ، وعاونوها أصدق معاونة فى أيام الحرب ، ولو شاءوا وكان ذلك فى طباعهم لغدروا بها واغتنموا فرصة الحرب ، فأقلقوها وأزعجوها ، وكانوا شوكة فى جنبها ، وإنها لتعرف بالتجربة ، فى ثورتهم ، أنهم لايخافون البطش ، ولايهابون القوة ولا يروعهم البأس ، إذا صمموا وألقوا عزمهم بين أعينهم ، ولكنهم آثروا الوفاء لها فى محنتها وكانوا كراماً ، وهذا جزاؤهم ! يضربها اليهود بسلاحها الذى يسرقونه من مخازن قواتها ، وينسفون منشآتها ، ويقتلون رجالها ، ويستخفون بقوتها أيما استخفاف ، فتربت لهم على ظهورهم وتقول لهم : تعالوا ادخلوا على بركة الله !

وكانت أيام ثورة العرب عليها قبل هذه الحرب ، إذا عثر رجالها على بندقية قديمة بالية ليست أجدى على صاحبها من سيف أبي حية النميري تشنق الرجل ، وتفرض الغرامات الفادحة على القرية ، وتفعل الأفاعيل المنكرة !

ومن الغريب أنها تسوغ السماح بهذه الهجرة الجديدة بأن عليها تبعات تفرضها عليها شروط الانتداب ما دام قائماً . كأن الحكومة البريطانية التي أصدرت الكتاب الأبيض كانت تجهل شروط الانتداب حين قررت أن تنقطع الهجرة الصهيونية بعد السنوات الخمس إلا بإذن العرب ! أو كأن شروط الانتداب لا تنص صراحة على اجتناب أي عمل يضر بأهل البلاد الأصليين أي العرب !

ومن الغريب كذلك أنها تقول في البلاغ الذي أذاعته في هذا الصدد إن « المداولات » مع العرب طالت ، والذي نعرفه أنها لم تطل ، فقد رفض العرب أن يوافقوا على هذه الهجرة الجديدة ، وكانوا على حق في رفضهم ، فإنها بلادهم ، ولهم أن يأبوا أن يدخلها من لا يأمنون جانبه ولا يطمئنون إليه ، بل من يخافون شره . وطبيعي أن يرفضوا دخول يهود آخرين لئلا يصبح اليهود هم الكثرة ، فيؤول أمر البلاد إليهم ، ويصبح العرب قلة وغرباء في أرضهم . ثم إن الكتاب الأبيض الإنجليزي نفسه يخول لهم الحق في القبول أو الرفض ، ويجعلهم أصحاب الرأي والقول الفصل في ذلك ، وقد رفضوا بحقهم ، فكان على بريطانيا أن تحترم ما ذهبوا إليه ، وأن تحترم عهدها هي نفسها . فأما وهي لم تفعل ، فمن ذا الذي يسعه أن يثق بعهد جديد لها ، أو يطمئن إلى لجنة التحقيق وقد بدا من بريطانيا هذا الهوى ؟

وقد أعلنت الحكومة البريطانية أنها ستعترف قريباً باستقلال شرق الأردن ، وكان تحت الانتداب تبعاً لفلسطين ، وسيسافر صاحب السمو الأمير عبد الله أمير شرق الأردن إلى لندن للاتفاق على الشروط التي يتم بها الاعتراف باستقلال إمارته ، وسينادى سموه بنفسه ملكا بعد ذلك على الأرجح ، فما يبقى بعد الاعتراف لبلاده بالاستقلال مايحول دون اتخاذه أي لقب يشاء بإرادته الحرة.

ولاريب أن الاعتراف باستقلال شرق الأردن سيكون خطوة لما ما بعدها ، وقد يعني — أو لا يعني — بريطانيا من العون المالي الذي تبذله له كل عام ، فإنه بلد فقير إلى الآن ، وقليل عديده ، وإن كان من أطيب البلاد وأكثرها كنوزاً ، وسيحول استقلال شرق الأردن دون امتداد الصهيونية إليه ودخولها فيه ، وكان ذلك مطمعها ، وقد سخطت ونقمت لما أذيع الوعد بالاستقلال ، وعدت هذا غدراً من بريطانيا بالصهيونية ، لأن الصهيونية تعد البلاد العربية كلها والشرق الأوسط أجمع مجالاً حيوياً لها ، كما كان « هتلر » يعد شرق أوربه وشرقيها الجنوبي مجالا حيوياً له أو للرايخ . على أني لا أظن إلا أن هتلر كان تلميذاً لليهود ، فقد أخذ عنهم « العنصرية » وأسرف فيها كاسرافهم الذي كلف العالم — ويكلف العرب الآن — شططاً .

ونحن نعرف معنى الاستقلال في معجم السياسة البريطانية ، وما يحتاج الاعتراف باستقلال بلد ما ، إلى شروط ، فإذا احتاج فالشروط ولا شك قيود ، وتدلنا التجربة على أن بريطانيا قد أعدت لاستقلال شرق الأردن شروطاً تجعل لها نفوذاً فيه وسلطاناً عليه ، وتخولها اتخاذ مطارات — على الأقل — في أرضه ، على نحو ما صنعت في العراق . وبهذه الشروط — كائنة ما كانت ، وفي أي قالب صُبت — يدخل شرق الأردن في منطقة النفوذ البريطاني .

ومثل هذا الاستقلال لا يعد تاماً ، ولا حقيقياً ، ولا وطيداً ، وقد رأينا ما آل إليه استقلال العراق واستقلال مصر ، وعرفنا حقيقة الأمر في البلدين ، ولن يكون شرق الأردن أجزل حظاً ، فإن الاستقلال « يؤخذ ولا يعطى » كما قال المرحوم الملك فيصل في خطبة له بالشام بعد أن دخلها في أخريات الحرب العالمية الأولى على رأس الجيش العربي ، فإذا أعطى فهو منحة ، والمنحة تكون بقدر .

ولكن هذا الاعتراف سيكون خطوة على كل حال ، لها ما بعدها كما أسلفنا ، وبه يستفيد البلد قدراً من الحرية تتيح له أن يتجه وجهته إلى حد ما ، وتشجعه على الأمل والتطلع والسعي، وتغير ما به تغييراً غير هين ، ومن المحال بعد أن ينعم بهذا القدر من الحرية أن يُسلبه ، بل الطبيعي أن يتسع النطاق ، فتصدع القيود شيئاً فشيئاً على الأيام . وتلك سنة الحياة ، فلا وقوف ولا رجوع . وهل تكف الأيام عن الدوران ، وسن الإنسان الحي

في إرشــــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٦ —

ج ٦ ص ٢١٠ : قال أبو حيان : قال الصاحب بن عباد لأبي واقد الكرابيسي :

يا هذا ، ما مذهبك ؟ قال مذهبي أن لا أقر على الضيم ، ولا أنام على الهـون ، ولا أعطى عصمتي لمن لم يكن ولي نعمتي ، ولم تصل عصمته بعصمتي . قال : هذا مذهب حسن ، ومن ذا الذي يأتي الضيم طائعاً ، ويركب الهـون سامماً ؟ ولكن ما نحلتك التي تنصرها ؟ قال : نحلتي مطوية في صـدري ، لا أتقرب بها إلى مخلوق ، ولا أنادي عليها في سوق ، ولا أعرضها على شاك ، ولا أجادل فيهـا المؤمن . قال : فما تقول في القرآن ؟ قال : ما أقول في كلام رب العالمين الذي يعجز عنه الخلق إذا أرادوا الاطلاع على غيبه ، وبحثوا عن خافي سره وعجائب حكمتـه ، فكيف إذا حاولوا مقابلته بمثله ، وليس له مثل مظنون فضـلا[1] عن مثل متيقن . فقال له ابن عباد : صدقت . ولكن أمخلوق أم غير مخلوق ؟ فقال: إن كان مخلوقاً كما يزعم خصمك فليضرك ، فقال : يا هذا ، أبهذا تناظر في دين الله ، وتقوم على عبادة الله ؟

قلت : ضبطت (الهون) في (لا أنام على الهون) (ويركب الهون سامماً) بالفتح وإنما هي بالضم . في الصحاح : الهون بالضم الهوان ، وفي الكشـاف في تفسير (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) : على هون على هوان وذل ، وقرئ على هوان . وقال في تفسير (اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) : الهون الهوان الشديد ، وإضافة العذاب إليه كقولك: رجل سوء ، يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه .

و (الهون) بالفتح : السكينة والوقار كما في الصحاح . وفي الكشاف في تفسير (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) : الهون الرفق واللين[2] .

(ولا أعطى عصمتي لمن لم يكن ولي نعمتي) هي (ولا أعطي عصمتي) أي قيادي وزمامي . في التاج : قال محمد بن نشوان الحميري في (ضياء الحلوم) : أصل العصمة السبب والحبل . وفي اللسان أصل العصمة الحبل وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه .

(١) قلت : قال العلامة الفيومي في مصباحه : قال شيخنا أبو حيان الأندلسي نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى : لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب (لا يملك درهما فضلا عن دينار) من كلام العرب .

قلت : هو تركيب مولد صالح ، وهو في كلام أئمة في نثر وفي شعر ، قال أبو تمام في قصيدة يهنئ الواثق ويعزيه بأبيه المعتصم :

لو يقدرون مشوا على وجناتهم وعيونهم فضلا عن الاقدام

(٢) المعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار ، ولا يضربون بأقدامهم ، ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ، ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الأسواق والمراد بالجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرعة ، وعن أبي العالية : نسختها آية القتال . ولا حاجة إلى ذلك ، لأن الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع (الكشاف) الرعة : الطريقة ، السيرة .

عن الارتفاع ؟ أو هل تكر الكهولة راجعة إلى الشباب الذي ولى عهده ، أو الطفولة التي تقفى أوانها ؟ كذلك الأمم لا وقوف في حياتها ولا رجوع ، حتى تستنفد حيويتها ويبلغ أجلها مداه ، كما يبلغ أجل الفرد مداه ، وكل ما هنالك من الفرق أنها لا تفنى فناء الفرد ، بل يدركها ما نسميه الانحطاط ، وليس يحفظها من الانقراض إلا دخول دماء جديدة فيها ، فتصبح وكأنها تسربت في غيرها وغابت فيه ، لأن هذا الغير أقوى وأزخر حيوية ، فإذا لم يتح لها ذلك بادت كما بادت القرون الخالية .

من أجل هذا نؤثر أن نستبشر بالاعتراف القريب باستقلال شرق الأردن ، ويسرنا أن الله قد حقق لصاحب السمو الأمير عبد الله ما كان مأربه من أول يوم دخل فيه هذا البلد الطيب ، فما دخله ليضعه تحت الانتداب البريطاني ، بل ليستقل به ويكون ملكا عليه حراً فيه ، غير أن المقادير جرت بخلاف ذلك ، فالآن تم له ما أراد ، أو بعضه ، فله منا التهنئة ، والرجاء المخلص أن يرى في هـذا ما يغنيه عن التفكير في « سورية الكبرى » ، فإن نجاح المسعى إذا اتجه إلى العراق ، أقرب منه إذا اتجه إلى سورية. والله أعلم ، وهو الموفق .

ابرهيم عبد القادر المازني

(إن كان مخلوقاً كما يزعم خصمك) هى (إن كان غير مخلوق كما يزعم خصمك) لأن (القدم) قول خصمه و (الخلق) قول الصاحب ومن تمذهب بمذهبه . وفيه يقول أبو محمد الخازن فى إحدى قصائده :

أرى الأقاليم قد ألقت مقالدها … إليه مستبقات أى إلقـاء
فسـاس سبعتها منه بأربعـة … أمر ونهى وتثبيت وإمضاء
كذاك (توحيده) ألوى بأربعة … كفر وجبر وتشبيه وإرجاء[1]

« والمعتزلة — كما فى شرح المواقف — لقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد وذلك لقولهم بوجوب الأصلح ونفى الصفات القديمة يعنى أنهم قالوا : يجب على الله ما هو الأصلح لعباده ويجب أيضاً ثواب المطيع فهو لا يخل بما هو واجب عليه أصلا ، وجعلوا هذا عدلا ، وقالوا أيضاً بنفى الصفات الحقيقية القديمة القائمة بذاته تعالى احترازاً عن إثبات قدماء متعددة وجعلوا هذا توحيداً » .

فى (الفرق بين الفرق) : « وكلهم (أى فرق المعتزلة) يزعمون أن كلام الله عز وجل حادث ، وأكثرهم يسمون كلامه مخلوقاً » .

فى (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) : « قالت المعتزلة والخوارج وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة إن القرآن كلام الله سبحانه وإنه مخلوق لله لم يكن ثم كان ... وحكى عن ابن الماجشون أن نصف القرآن مخلوق ، ونصفه غير مخلوق ، وحكى محمد بن شجاع أن فرقة قالت : إن القرآن هو الخالق ، وأن فرقة قالت هو بعضه ، وأن فرقة قالت : إن الله بعض القرآن وذهب إلى أنه مسمى فيه ، فلما كان اسم الله فى القرآن ، والاسم هو المسمى كان الله فى القرآن » .

قلت : روى ياقوت فى معجم البلدان عن كتاب لمسعر بن مهلهل فى ذكر ما شاهده فى بلاد الترك والصين والهند أن « قبيلة تعرف بالبغراج لهم أسبلة بغير لحى يعملون بالسلاح عملا حسناً فرساناً ورجالة ، ولهم ملك عظيم الشأن يذكر أنه علوى وأنه من ولد يحيى بن زيد ، وعنده مصحف مذهب ، على ظهره أبيات شعر رثى بها زيد ، وهم يعبدون ذلك المصحف[2] .

(١) قال الثعالبي فى اليتيمة : لما قال هذا جعل الصاحب يحرك رأسه مستحسن .

(٢) وفى هذا الكتاب : وزيد عندهم ملك العرب ، وعلى بن أبى طالب رضي الله عنه عندهم إله العرب ، لا يملكون عليهم أحدا إلا من ولد ذلك العلوى ، وإذا استقبلوا السماء فتحوا أفواههم ، وشخصوا أبصارهم إليها =

والزمخشرى يقول فى ديباجة الكشاف : « الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ، ونزله بحسب المصالح منجماً ، وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً ، وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً ، وفصله سوراً وسوره آيات ، وميز بينهن بفصول وغايات . وما هى إلا صفات مبتدأ مبتدع ، وسمات منشأ مخترع . فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ، ووسم كل شىء سواه بالحدوث عن العدم » .

قال السيد الجرجانى فى حاشيته : « يروى أنه وقع فى أم النسخ (نسخ الكشاف)[1] خلق مكان أنزل ثم غيره المصنف لأن كون القرآن حادثاً أمر شنيع عند الخصم فأراد أن يكتمه أولا ثم أن يظهره بعد سوق مقدمات مسلمة عنـده ، ومستلزمة للحدوث فى نفس الأمر ، فإن ذلك أقوى فى استدراجه إلى التسليم من حيث لا يشعر به » .

وشاعرنا البحترى كان فى قوله فى القرآن يدور مع الدول ... قال الإمام المرزبانى فى كتابه (الموشح) :

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدثنا ابراهيم بن عبد الله الكجى قال : قلت للبحترى : ويحك ! أتقول فى قصيدتك التى مدحت بها أبا سعيد (أأفاق صب من هوى فأفيقا) :

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم … ويحرفون كلامه المخلوقا

أصرت قدرياً معتزلياً ؟ فقال لى : كان هـذا دينى فى أيام الواثق ، ثم نزعت عنه فى أيام المتوكل . فقلت له : يا أبا عبادة ، هذا دين سوء يدور مع الدول ...

قلت : فى تعريفات الجرجانى : القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله .

وفى (شرح المقاصد) : اتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الزيغ على أن العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم ، واجترأ

= يقولون إن إله العرب ينزل منها ويصعد إليها ، ومعجزة هؤلاء الذين يملكونهم عليهم من ولد زيد أنهم ذوو لحى ، وأنهم قيام الأنوف ، عيونهم واسعة ...

(١) ذكر ابن خلدون الكشاف فى فصلين من مقدمته فما قاله فى الأول : ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن — اللغة والاعراب والبلاغة — من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد فيأتى بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة . . فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه ... مع إقرارهم برسوخ قدمه فما يتعلق باللسان والبلاغة ، وإذا كان الناظر فيه واقفا على المذاهب السنية فلا جرم أنه مأمون من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه فى اللسان .

صحائف مطـــوية

الجنرال فيجان في سوريا ولبنان

للأستاذ أحمد رمزي

حينما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، عين في سبتمبر ١٩٣٩ الجنرال فيجان القائد الفرنسي المعروف ، وصاحب الشهرة الذائعة في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ على رأس جيش الشرق في ميدان البحر الأبيض المتوسط ، وقد حضر إلى بيروت وجعل عمارة كبيرة ذات عدة طبقات مركزاً لقيادته — وهي العمارة التي أصبحت بعد الاحتلال البريطاني مركزاً لبعثة الجنرال اسبيرز — فكأن المقادير قد ربطت هذا البناء بأكبر الحوادث التاريخية لسوريا ولبنان إذ اتخذت في حجراته أخطر القرارات وجرت فيه معظم المفاوضات التي غيرت الكثير من أوضاع البلدين

وكان الجنرال فيجان في نوفبر ١٩٣٩ يقيم في قصر شاهق برأس بيروت تعرفه من مفرزة الجنود الجراكسة التي تتولى حراسته ليل نهار ، والتي كانت موضع انتقاد زميلين لي من ممثلي الدول الشرقية ، وقد حظيت بمقابلة الجنرال في مركز قيادته ، ودارت بيننا محادثات ، ففي المقابلة الأولى لقيته في صباح يوم من شهر نوفبر ، وكان قد تحدد موعدها قبل ذلك بيومين ، وقد أخذت الأهبة لهذا اللقاء لعلمي بمنزلة القائد التاريخية ، ولوثوق من شخصيته ونظرته النافذة ، ولذلك حرصت على أن أتحين الفرصة وأخرج من المقابلة الأولى ، وقد توطدت بعض الثقة بيننا ، أو شيء من العلاقة غير الرسمية ، أقصد التي يتخللها بعض الصراحة .

فكيف أعمل لذلك ؟

كان عليّ أن أستجمع كل معلوماتي وما بقي بالذاكرة من حوادث الحرب الماضية وتجاربها ودروسها ، فمنها بعض ما قرأته في المؤلفات المختلفة وبعض ما سمعته بمعهد زوريخ ، ثم كان عليّ أن أراجع ما قرأته من مؤلفات الجنرال فيجان نفسه ، وأولها مؤلفه عن « حروب محمد علي » ، وهو كتاب معروف ومتداول ، ولم يقتصني سوى كتابه عن « تاريخ الجيش الفرنسي » ، وسرعان ما جبت المدينة باحثاً منقباً لدى باعة الكتب ، حتى حصلت على نسخة من هذا الكتاب ، فأمضيت ليلتين في تصفحه ، وقرأت المقدمة مرات ، وأخذت أتعرف على أسلوبه وطريقته في سرد الحوادث وشرح المعارك التي خاضتها فرنسا ؛ ولا تنس أن فيجان عضو في الأكاديمية الفرنسية ، فهو قائد وكاتب وأديب .

ولقد أفادني ذلك كثيراً : أولا لأني من ثنايا كتابته تعرفت على الجنرال ، ومن تقليب صفحات كتابه الأخير فهمت ميوله السياسية ، ولذلك شعرت بهدوء وثبات ، وكأني أعرف الجنرال معرفة أكيدة قديمة لما توجهت إلى مركز القيادة ، واستقبلني ياوره وصعد بي إلى الطابق الثاني ، وأدخلني إلى حجرة تطل على ناحية المدينة بعكس الجنرال اسبيرز الذي حينما احتل المكان كانت حجرته دائماً تطل على البحر ، ولما استأذن لي من الجنرال أدخلني إلى غرفة متسعة ، أول شيء لفت أنظاري هو أن حيطانها قد غطيت بالخرائط المفصلة : لأفريقية الشمالية إلى حدود مصر ،

المتأخرون فسموا العبد خالقاً على الحقيقة .

* * *

ج ١٩ ص ٣٩ : وقال ابن شرف القيرواني في وصف وادي عذراء بمدينة برجة من أعمال المرية .

رياض غلائلها سندس ... توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خط الربا ... لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بهـا جنـة ... وكل طريق إليها سفر

وجاء في شرح (سفر) سفره وأسفره أضاءه ، فلعله يريد أن الطريق إليها مضيء مشرق ، فإن هذا مناسب للشطر قبله وللمدح .

قلت : (المرية) بفتح الميم وكسر الراء مخففة كاضبط ياقوت ، وقد أورد مقطوعة في (معجم البلدان) لابن الحداد يقول فيها :

أخي اشتياق وما أطويه من أسف ... على المرية والأنفـــاس تظهره

وصدر البيت الثاني (مدامعها فوق خدى ربا) وعجز البيت الثالث (وكل طريق إليها سقر) أي وعر صعب .

في النفح : وبمدينة برجة (وهي من أعمال المرية) معدن الرصاص ، وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء ، وهو محدق بالأزهار والأشجار ، وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها ، وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيرواني : (رياض تمشقها سندس

كنا نعلم الكثير من هذا ، ولكن ثقتنا بالجنرال كانت كبيرة ولا حد لها ، خصوصاً فى فنه وعبقريته . ولما استأذنت ، ودعنى قائلا : إنه يسر أن يرانى من وقت لآخر . ولم تعرض المرة الثانية إلا قبيل سفره إلى مصر فى فبراير التالى ، إذ بدأت حديثاً معه ، فأشرت إلى الماريشال فوش ، وكان الجنرال رئيساً لأركان حربه ، وقلت : إننى أقف فى كل مرة أزور الانفاليد بباريس أمام الخريطة الكبيرة التى كان يدير بها العمليات الحربية بالميدان الغربى ، وأعجب من عبقريته ، وأفضى بنا الحديث إلى معركة المارن وأثر فوش ، وإلى النظرية الفرنسية للحروب ، وعبقرية نابليون وإشادة فوش بها فى دروسه بأكاديمية الحرب الفرنسية.

وانتقلنا عرضاً إلى الديمقراطية ، وهى وإن بدت ضعيفة فى الاستعداد الحربى ، إلا أن الكلمة الأخيرة لها ، لأنها ستكسب فى النهاية المعركة الفاصلة .

وكان هذا الحديث الشائق يسير متواصلا إلى أن قطعه بأن أخذ يتحدث عن الجيش المصرى فوجه إلى عدة أسئلة دقيقة مثل: من كم فرقة يؤلف جيشكم ؟ كم شهراً يأخذ التدريب الفنى لجندى المشاة ؟ هل لديكم مدارس لضباط الصف ؟ ما هو التسليح الجديد والأنظمة الحديثة التى أدخلتها البعثة العسكرية البريطانية على جيشكم ؟ ما هى الوحدة الأساسية التى يبنى عليها التدريب لكى تدخل القتال مستقلة اللواء أم الفرقة ؟ هل لديكم سلاح للمهندسين بالجيش ؟ هل بوسع جيشكم أن يدخل الميدان أمام قوات منظمة على الحرب الحديثة ولصد هجوم جيوش أوروبية ؟ ما هو مستوى ضباط الأركان حرب عندكم ، وهل لديكم ضباط درسوا فى دول غير بريطانيا ؟

كانت ثرثرتى حول بعض المبادئ العامة مما جعله يعتقد أنه أمام جندى فى زى ملكى ، أما أنا فقد احترت كثيراً ، وكنت كمن فتح لنفسه باباً لا يقدر عليه ، ووقفت أسائل نفسى : هل أجيب على أسئلة الجنرال على الطريقة المتادة لدينا ، وفى صحفنا وأنديتنا فأقول : إن جيشنا على تمام الأهبة والاستعداد لتلبية واجب الوطن ، وإن لدينا معدات كاملة ، وإن قوادنا من الدرجة الأولى فى فنون الحرب والقتال ، بل إن منهم من وضع خطط الدفاع للصحراء الغربية . لا شك فى أن قولى هذا لم يكن يقدم أو يؤخر ، ولكن أمامى قائد من كبار قواد فرنسا سوف يذهب بعد أيام إلى مصر ، وسيلتقى برجالنا وقوادنا ، وسيعرف بالضبط مقدار معلوماتهم ، وسوف يحادث رجال فرنسا عندنا ويقابل الجنرال ويفل والجنرال ويلسون وضباط البعثة البريطانية ، وسيقف على كل صغيرة وكبيرة . فوقفت متردداً ثم قلت : إن الجيش المصرى يتطور بسرعة نحو استكمال أسلحته ، وسترى فى مصر وتسمع الكثير عنه ، ولا شك أن الخطوات ثابتة . ويذكرنى حديثكم عن أيام قضيتها بإيران ، والتقيت مرة بأفراد البعثة العسكرية الفرنسية المكلفين بتنظيم الجيش الإيرانى ، فسمعت أحدهم يقول : « إن الحكومة الإيرانية تطلب منا أن نخرج لها ضباطاً صالحين للقيادة بعد دراسة لا تطول أكثر من سنتين ، ونحن فى فرنسا نحتاج إلى عشرين عاماً لتهيئة وتكوين ضابط من ضباط الأركان حرب الذين تستطيع أن تعتمد عليهم الدولة فى تحريك فرقة من الجنود وقيادتها فى ميدان القتال » .

وهنا نظر إلىّ الجنرال طويلا وابتسم ، إذ فى ذلك كل الإجابة على أسئلته المحرجة ، ولكنى أردفت ذلك بقولى له : إن مواد العمل صالحة وجيدة ، وإن قوة احتمال الجنود وصبرهم من ميزات الجيش المصرى ، بل هى أهم عوامل البناء التى يمكن الاعتماد عليها فى إخراج جيش حديث يعيد بعض مواقف السلف فى الماضى ، ولا شك أنكم كتبتم شيئاً من ذلك فارجعوا إلى ما أشرتم إليه فى كتابكم

فهز رأسه موافقاً على ما قلت ، وافترقنا ، وبعد أسبوع من هذه المقابلة سافر الجنرال إلى القاهرة ، ولقى من السلطات المصرية والبريطانية كل ترحاب ، وأقيمت له المآدب وحفلات التكريم ، منها مأدبة رفعة على ماهر باشا التى أقامها على شرف الجنرال فى فندق سميراميس ، وقد دعى إليها كثير من العظماء وأهل الرأى من العظماء وكبار ضباط الجيشين المصرى والبريطانى ، وأدلى رفعته بحديث نقلته وكالات البرق قال فيه :

« إن مصر تغتبط باستقبال القائد العظيم وتقدّر صفاته العسكرية الممتازة وماضيه المجيد وتحيى فيه ممثل فرنسا النبيلة » .

وأقيم له استعراض عسكرى اشتركت فيه بعض الوحدات الميكانيكية من القوات البريطانية والمصرية والهندية ، وكان يرافقه

القائد البريطاني الجنرال ويفل أثناء العرض .

وتعود بي الذكرى هنا إلى عام ١٩٤٢ ، حينما تعددت مقابلاتي مع الجنرال كاترو الفرنسي ، وذلك بعد احتلال سوريا ولبنان ، وفي إبان المفاوضات التي انتهت بعودة الحياة الدستورية بالبلدين ، إذ أنني قابلته في يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٢ ، وتناول الحديث مسائل متنوعة ، ولكنه صرح لي وقد قيدت ذلك في حينه :

إنه كان حاضراً في مجلس الحرب الأعلى للحلفاء في باريس ، وذلك قبل خروج فرنسا من الحرب ، حينما عرض التقرير الذي وضعه الجنرال فيجان عن رحلته إلى مصر في فبراير ١٩٤٠ وعن الحالة الحربية ، وأن الجنرال سجل إعجابه بالجنود المصريين وحسن استعدادهم للخدمة العسكرية ، واقترح وجوب زيادة الجيش المصري ، كما أشار إلى ما يجنيه الحلفاء من الفائدة والمعونة إذا وقف بجانبهم جيش مصري قوي ، وقد أخذ مجلس الحرب الأعلى بهذا الاقتراح ، وكان من ضمن القرارات التي وافق عليها .

وعاد الجنرال فيجان من مصر فبدأ رحلاته إلى الداخل ، وكثرت تنقلاته ، وكانت مقابلاته بعد ذلك عرضية ونادرة ، وأغلبها في ميدان السباق ، ولكن توطدت مع معاونه الجنرال كابو ومع أركان حربه ومكتبه علاقات ودية ثابتة ، فما اتصلت بشيء لدى السلطات العسكرية عن طريق القيادة ، وإلا وأجيب طلبي أو رجائي فوراً ، أو كان محل اهتمامهم وتحرياتهم بعكس السلطات المدنية التي طالما تمهلت وتأخرت ، ثم ألقت أسباب عجزها على السلطات العسكرية ، ولقد كان ذلك موضع سمرنا في المفوضية الفرنسية خصوصاً المكتب الدبلوماسي الذي إذا احتج بالعسكريين بادرتُ بأن أعلمه أنني مستعد للذهاب إليهم رأساً لإزالة ما نشكو منه ، وكان المكتب يعلم بما تقدمه السلطات العسكرية من تسهيلات لمصر في مقابل ما تبذله مصر من تسهيلات للعسكريين

هـذا هو الجنرال الفرنسي الذي ساهم مساهمة فعلية في قيادة فرنسا إلى النصر في الحرب الأولى ، والذي وطد نفوذ بلاده في الأشهر الأولى من الحرب العالمية الثانية ، كان في حركاته ومشيته تفيض منه الطمأنينة والثقة ، فيتأثر منها الغير لدى مواجهته أو مصافحته أو رؤيته ، ويشعرون بنفس الثقة والاطمئنان .

وأذكر مرة أني رأيته داخلا الجامع العمري بمدينة بيروت بمناسبة المولد النبوي الشريف ، فهتفت له الجماهير الإسلامية طويلا ، وحملته على الأعناق ، ودخلت به المسجد .

ولقد رأيت الكثيرين من ممثلي البلاد الأوروبية في الشرق فلم أر مثل فيجان ، ولقد وصل غيره ، ورتبت لهم الهتافات ، إلا أن الجماهير لم تغمرها روح الحماس الذي كانت تحس به عند رؤيتها الجنرال الشيخ والشاب في نفس الوقت .

وفي ليلة من الليالي استدعي إلى باريس لقيادة جيوش الجمهورية وسد ثغرة سيدان ، لقد تحطمت الجبهة واندكت حصون خط ماجينو في الشمال والزحف الألماني لا يقف ، وراديو برلين يصيح : « لو بعث نابليون من قبره ، لما كان في وسعه أن يغير القدر المحتوم ! » لقد هزمت فرنسا وتمزقت جيوش الجمهورية !

وكنت جاراً للجنرال كابو ، وقد زالت الكلفة بيننا ، وفي عصر أحد الأيام دعاني لمنزله ، وقال إنه يغادر البلاد الليلة إلى مصر فالسودان فأفريقيا الغربية فراكش إلى فرنسا ، وذلك بناء على دعوة فيجان ، إذ يجب أن يكون بجبهة القتال قبل أربعة أيام . قلت إنكم تنتظرون قرارات حاسمة . قال : إن إنقاذنا يحتاج لمعجزة

Seul un miracle peut nous sauver

ودمعت أعين القائد أمام هذا التصريح ، فاستأذنت بعد أن حملته سلاماً للقائد الذي وضعت فرنسا وبلادي مصر وغيرنا من البلاد آمالها في عبقريته وفنه العسكري يوماً من الأيام .

وانتهت صفحة من تاريخ العالم بمعاركه وفواصله وأسلاكه الشائكة !

أحمد رمزي

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

دمشـــــق . . .

للأستاذ علي الطنطاوي

« كتب إلى صديق كبير وأستاذ جليل ممن عرفت في مصر أن أصف له مدخــل دمشق ، وأن أعرفه بمتنزهاتها وآثارها ، وإن ذلك لمطلب على مثلى عسير ، وحمــل على قلبي ثقيل ، وإني أحاوله اليوم محاولة ربما ينهض به من هو أضخم مني في زحمة الأدب منكبا ، وأحــد فكرا ، وأمضى قلما .. » .

هذي دمشق يا أيها الأخ السائح ، قد لاحت لك أرباضها ، ودنت رياضها ، أفما تراها وأنت قادم عليها من نحو فلسطين[١] ، مع الصباح الأغر كيف نامت من غوطتها على فراش من السندس صنعته يد الله ، وقد توسدت ركبتي حبيبها البطل الشامخ بأنفه الصخري : قاسيون[٢] ، فكان رأسها في الصالحية ، وقدمها في (القدم)[٣] وقلبها في (الأموي) بيت الله الأطهر ، فانظر أما تراه أول ما يبدو من دمشق للقادم عليها ، يطل عليها بقبته التي ليس لها في الدنيا نظير : قبة النسر التي راعت بجلالها الأولين والآخرين وما رأى الرائي أضخم منها ولا أعلى ، ومآذنه الثلاث معجزات الصنعة في تاريخ العمران الإسلامي ، يسبغ على المدينة جلال القرون الأربعين التي رآها وعاشها ، مذ كان معبداً وثنياً ، إلى أن صار منسكا مسيحياً ، إلى أن استقر مسجداً إسلامياً ، يخرج من مناراته خمس مرات كل يوم النداء الأقدس : « الله أكبر لا إله إلا الله » فيردده إخوان مسلمون في المشرق ، وإخوان في المغرب حتى يفيض طهره على الأرض كلها . ألا تراه يعلو كل عمارة في المدينة على ما فيها من عمارات شاهقات ، حتى كأن أعلاها إلى جانبه الطفل بجنب الرجل الضخم الطوال ؟ فإن كان برج (إفل) علم باريز وذلك التمثال علم نيويورك ، فعلم دمشق بيت الله العلي ذي الجلال .

لقد دنونا ، هذا المطار إلى يمينك ، وهــذه القرية من ورائه (داريا)[١] ، والغوطة الغناء ، جنة الأرض ، ما رآها أحد إلا أحس بأنه يرى مدينة مسحورة من مدن (ألف ليلة ...) ، قد تراءت له في غمرة حلم ممتع ... لقد اقتربنا منها ... هذه (المزة) ضاحية دمشق ، أصح المنازل ، وأبعدها عن العلل ، مساكن العرب الغر من سالف الدهر ، لقد جاوزنا سهلها المشرق ، وجبلها المشرف ، وساحتها الفيحاء ، وعماراتها البارعات ، وولجنا حمى الغوطة .

هذه بساتينها التي تتصل حافلة بالثمار ، مليئة بكل ما يفتن ويفيد ، مسيرة تسع ساعات على الماشي وما ينفك يمشي في ظلال شجرة مثمرة ، أو نبتة مزهرة ، ولو اجتمع على مائدة واحدة ما تخرج من الثمار من أنواع المشمش والعنب والتفاح والكمثرى والخوخ ... لاجتمع أكثر من ثلاثمائة صحن ما في صحن منها مثل ما في الآخر . وحسبك أن في الشام من العنب أكثر من خمسين نوعاً ... ومن التفاح فوق الثلاثين[٢] ...

هذه هي الغوطة ، أفما ترى نساءها يلحن من بعيد وهن ساريات خلال الأشجار ، أو منثورات وسط الحقول ، بثيابهن التي لا يحببنها ، على سترها وشمولها ، إلا زاهية تضحك فيها الألوان ، فتحسبهن الزهر ، وتظن الربيع قد جاء في كانون[٣] والأرض مفروشة ببسط نسجت بخيوط الذهب ، من صفرة الأوراق التي بعثرها وتركها الخريف ، فكانت كنثار الدنانير ، على بساط من السندس ، في عرس أمير ، والبقر الفاقع الصفرة الصافي اللون ، تماثيل في متحف الطبيعة صبت من خالص العسجد ، والشتاء إذ حل نخلعت فيه الأشجار ثيابها ، على حين يتدثر الناس بالصوف ،

---

(١) لدمشق أربعة مداخل : من الشمال يدخل منه القادم من بغداد ومن حمص وحلب فيمر على كروم دوما ، ويجتاز طرف الغوطة ، حتى يلج دمشق من حي النصارى سالكا على (شارع بغداد) المظلم ، ومن الغرب يدخل منه القادم من بيروت ومن فلسطين ، ويلتقي الطريقان في أسفل عند الربوة ، ومدخلان في القطار ينتهيان في محطة الحجاز في شارع النصر .

(٢) قاسيون جبل دمشق علوه عن وجه البحر (١٢٠٠) متر وعن المدينة نحو (٥٠٠) وقد بلغت منازل حي المهاجرين والصالحية ثلثه علواً .

(٣) القدم قرية على باب دمشق من جهة الميدان ، تبعد عنها مسيرة عشر دقائق فقط .

(١) قرية من أكبر قرى الغوطة وهي قديمة ذكرها ياقوت ، وهي مشهورة بنوع من العنب الفاخر لا يثمر إلا فيها . وفي الغوطة أكثر من خمس وعشرين قرية ، وقصبتها بليدة دوما .

(٢) في حديقة منزل عمي صلاح الدين الخطيب ، في دمشق أربعة وعشرون نوعا من التفاح !

(٣) كانون الأول في لسان العرب هو (ديسمبر) في لغة الانكليز !

فكأنما هن الغيد الفواتن تمرن على الشط ، ليضنين الشباب لوعة وشوقا :

وما يتحين الشط يبغين برده
ولكن ليقتلن البرىء (المنفلا ...)

فهذا الحور لم يبق منه إلا عيدان ، فكأن الحور فتية أذاب جسومهم الحب ، فأضحوا من جَواه جلداً على عظم ، والشمش كـلاح هجرهن الأحبة ، بعد ما قطفت زهراتهن ، فأين بلوعة ليست تنفع وحسرة ، ورحن إلى خزى لا يريم وإلى ألم ؛ والجوز العارى على جلاله ، ملك عزل واستلب منه تاجه ، ولكنه كان عظيما فى نعمته . أما الزيتون ، وما أعظم الزيتون ، فلا يرى إلا لابساً ثيابه التى لا ينضيها ولا تبلى عليه ، ثابتا على حاله ، لا يحس بالغير ، ولا تستخفه الأحداث ، فلا يضحك بالزهر إن أقبل الربيع ، ولا يبكى إذا جاء الشتاء ، فهو الفيلسوف الساخر بالحياة ، أفراحها وأتراحها ، الذى لا يبالى نعمها ولا نقمها ، والسواق وهن جوار من الشرق إلى الغرب ، ومن الغرب إلى الشرق ، ومن كل جهة إلى أختها : ساقية تجرى عميقة — بين الأعشاب ، لا يوصل إليها ، ولا ينال ماؤها ، وأخرى ظاهرة مكشوفة ، وواحدة تتحدر تحدراً ولها صخب وهدير — وثانية تسير صامتة فى أصول الأشجار وصافية نقية — وعكرة خبيثة — وسالكة طريقها قانعة بمجراها ، وكاسرة حدودها عادية على غيرها ... فكأن سواق الغوطة صورة لنا فى حياتنا نحن الناس ، كل يعمل على شاكلته ، وكل ميسر لما خلق له ، مول وجهته ساع إلى غايته ، والوجهات متعارضات ، والغايات مختلفات ، ولكن كل ساقية تعرف طريقها ، والناس يهبطون إلى حضيض الشهوات والمعاصى على أهون سبيل ولكنهم يلقون فى التسامى إلى معالى الأمور عنتا وأينا . وكذلك السواق تنحدر بلا سَوق ولا تعب ، ولكنها لا تعلو إلا أن تضخها عضخات وترفعها بآلات ، وهذا عميق النفس لا تدرك قراره ولا تعرف حقيقته ، وهذا واضح بين ، ظاهره كباطنه — وهذا جياش صخاب ، وهذا صامت سكوت ، ونقى الطوية وخبيث الداخل ، ومنصف وظالم ، وكبير وصغير ، وكل يستمد من غيره ، وعد سواه ، وكذلك السواق فى الغوطة ...

***

هذه هى الغوطة إن يفتنك جمالها وبهاؤها ، فقد فتنت من قبلك ملوكا وقواداً وأدباء وعلماء ، وأنطقت بالشعر ناساً ما كانوا من قبل شعراء ، وأشاعت فى الناس فرحة لا تنقضى ، ومافقدت على الأيام فتنتها ولا شاخت على طول المدى ، بل ازدادت شبابا وفتوناً وحسناً ... هذه هى الغوطة رأيت جانباً منها فى الشتاء ، ولو رأيتها وهى مياسة فى حلل الزهر تختال فى أفراح الربيع ، عرس الدهر ، تملأ الدنيا بالعطر والسحر ، وتقرأ على القلوب أبلغ الشعر ، لرأيت عجبا ، ما يبلغ وصف حقيقته بيان !

***

لقد تركنا هذا الطريق القديم الذى يمر على ثكنات الجند ، ومنازل الجيش ، وملنا من هذه الجادة المحدثة إلى الشارع العظيم شارع فاروق الأول لندخل دمشق من أفخم مداخلها . هذا هو بردى يا أيها الأخ ! وهذا ؟ ... أترى هذه العظمة وهذا الجلال ؟ أتسأل ما هذا الوادى ، وما هذه الأنهار تجرى فى سرة الجبل وعلى السفح ، سبعة بعضها فوق بعض ، كعقود اللؤلؤ فى عنق كأنه العاج ، والشلالات تهبط من أعاليها إلى أسافلها ؟ هذا ياسيدى معبد الجمال ، هذا دير الحب ، هذا منسك القلوب ، هذه الربوة ... لا يا أيها الأخ ، إن من الإلحاد فى شرعة الجمال أن نصف الربوة ونحن نمر بها مرور الكرام باللغو ، إن لها حديثها وستسمعه إن شاء الله . ولقد قلت عنها كلاما كثيراً ، ولكن مكان القول ذو سعة ، وسأقول عنها إن أنا وقفت كلاما أكثر ، على أنه لا يغنى فيها كلام عن شهود ، ولا يجزىء بيان عن عيان ...

* * *

وصلنا يا أيها الأخ : هذا ميدان دمشق (المرجة) وهذا النصب الفخم فى وسطه المتوج بتمثال مسجد السراى فى (اسطامبول) ، هو نصب التذكار بمد الأسلاك البرقية إلى دمشق(١) وهذا القصر الصخرى الهائل ، سراى أحمد عزت باشا ، وهذه دار البلدية ، وهذا البناء الرفيع الذرى ، نُزُل أمية ، وهذه الشوارع الثمانية المفضية إلى الميدان ، بسياراتها وتراماتها ، طرق أحياء دمشق ... أتعجب من هذه الحانات وهذه الملهيات . ومن كثرة السينمات ؟ هذه يا صاحبى (دمشق الجديدة ...) ، لا تلق فيها

(١) الشائع فى العامة أنه تذكار مدكة الحديد إلى الحجاز .

ما لا تلقى مثله فى أى مدينة كبيرة : خير وشر ، وعلم وجهل ، وتقى وفجور ، وحجاب وسفور ، حياة كالبحر فيه اللؤلؤ وفيه الحصى ، وفيه الحياة وفيه الموت . هذى دمشق التى مزقت ثوبها لتلبس ثوبا أوربيا ، فلم تجده على مقياسها فبقيت عريانة إلا من خرق وأسمال . هذه هى القبرة التى أراد لها حمقها أن تقلد الغراب فنسيت على جمالها مشيتها ، ولم تتعلم على قبحها خطوة الغراب . انزل فى نزل أمية ، أو فى فندق الشرق (أوريان بالاس) الضخم ، القائم هناك ، بحيث يشرف على بردى ووادبه ، والشرف الأعلى ومغانيه ، وقاسيون وقصور المهاجرين ... تحس أنك فى (شبرد) القاهرة ، أو (الكونتننتال) — أعنى أنك فى أوربة ؛ فالأثاث والرياش ، والطعام والشراب ، والزى واللباس ، والسماع والغناء ، واللغة واللسان ، كل ذلك أوربى أوربى أوربى !

ولو أنك عرفت هذه (المرجة) فى عصورها الخوالى ؛ وهذان الشرفان الأعلى والأدنى ، وما كان فيهما من مدارس ومساجد وزوايا وتكايا ، وما قام الآن مقامها ، وأخذ مكانها ... ولكنى لن أسوق لك المزعجات وأنت قادم على البلد ، فاقرأ إن شئت ابن عساكر ، والمحاسن للبدرى ، ورحلة ابن بطوطة ، وما أظنك إلا قد قرأتها كلها !

هذه دمشق الجديدة ... أما دمشق العربية المسلمة ، بلدك وبلد خلائف الأرض ، من أبناء عبد شمس ، من إذا قالوا لبت الدنيا ، وإن مالوا مالت الأرض ، وإن حكموا أطاع الزمان ، من كانت دولتهم (تفصل ...) تسع عشرة من دول هذه الأيام ، من كانت راياتهم تخفق على بطاح فرنسا وسهول الهند ، وما بينهما وكانت قصورهم تتيه على النجوم ، وكانت أبوابهم تقف عليها الملوك . أما دمشق معاوية والوليد فليست هنا ، إنها مختبئة هناك فى دروب ضيقة وحارات حول المسجد الأطهر ، هناك المجد والعلم والتقى وبارع الخلال ، فامش إليها وادخل دورها ، وجالس أهلها ، تقرأ تاريخ المجد فى صفحات من دور ووجوه وعادات ، وتر بقايا الحضارات من لدن نوح قد استقرت فيها ، ففى كل بقعة منها تاريخ ، وكل حجر منها يتلو من سور الجلال آيات .

فإذا أردت أن تعرفها وتصل إليها ، فاخرج من نزل أمية ، وملْ قليلا تجد أمامك جامع الأمير (يلبغا) الذى سرقوا نصفه فجعلوه مدرسة للصبيان ، وتركوا منارته قائمة فى الدرسة ، تعلن لكل ذى عينين شكواها وتذيع خبر بلواها ، فلا تقف عليه ، وخذ إلى يمينك ، إلى جادة الفنادق ، (الجوزة الحدباء) ، حتى تبلغ سوق صاروجا[(١)] الذى كان حى الباشوات من الأتراك والمجددين فصار الآن حى التجار المحافظين ، فزر فى طريقك جامع الورد[(٢)] ثم سر إلى العقيبة ، منزل الإمام الأوزاعى[(٣)] وادخل جامعها الأنور المبارك الذى لا يخلو من قائم لله بحجة ، جامع التوبة[(٤)] ثم اسلك طريق العمارة ، وجز بزقاق النقيب ، وعرج على منازل علماء الأمس[(٥)] ، فقد كانت هذه المنازل مدارس ، وكانت جامعات ، وكانت منائر هدى للناس ، وكانت هى دعائم نهضتنا ، ووزارة الكلية الشرعية ثم ادخل الجامع الأموى ، وامكث فيه وسائله عن الماضى واستنطقه ، وطر بروحك فى سمائه ، واسم بها إلى عليائه ، ثم عد إلى أحدثك إن شاء الله حديثه ، وإن حديثه لطويل !

ثم جل فى القيمرية ، ولج تلك الدور ، وشاهد تلك القاعات والأبهاء ، وهذه الزخارف والنقوش ، والبرك والنوافير ، فمنها يا سيدى أخذ الأندلسيون هندسة هاتيك القصور ، ومر بهذا الزقاق الذى تباع فيه القباقيب ، ولا تحقره لضيقه وفقره ، ثم انزل إلى تلك الحارة المعتمة القذرة ، فاقرع باب مصبغة هناك ، فإذا فتحوا لك فاهبط درجها ، ولا تفزعك رطوبتها وظلمتها ، ثم قف خاشعاً متذكراً معتبراً ؛ فإن فى مكان هذه المصبغة التى يسمونها (مصبنة الخضراء) كان قصر الخلفاء من بنى أمية ...

فإذا خرجت منها فاسأل عن زاوية هناك ، فإن فيها قبر معاوية الصغير (ابن يزيد) ، ثم اذهب إلى السميساطية تلك المدرسة المحدثة البناء ، العامرة ، فقف عليها فقد كانت منزل خامس الخلفاء الراشدين ، عمر بن عبد العزيز ، ثم أم المعاهد فى جوارهما : الجقمقية

---

(١) نسبة إلى صاروجا ، الأمير صارم الدين من أمراء المماليك مات سنة ٨٤٣ والعامة تسميه سوق ساروجا .

(٢) ويقوم عليه العلماء آل عابدين من سلالة صاحب الحاشية .

(٣) وكانت يومئذ قرية فى ظاهر دمشق .

(٤) سمى بذلك لأنه كان خانا ترتكب فيه أنواع الموبقات ، فجعله أمير لا يحضرنى الآن اسمه وتاريخه مسجدا ، وهو أحد جوامع الاحياء فى دمشق ، ومنها جامع السادات فى حى الأقصاب ، ويلبغا فى سوق الخيل ، والسنانية فى باب الجابية ، نسبة إلى المهندس التركى المشهور صاحب المآثر العمرانية سنان باشا ، وقد وقف عليه أوقافا جليلة ، وجامع باب المصلى ، وسيدى صهيب ، وجامع منجك والدقاق فى الميدان وفيه (بسيط) نادر من عمل جدى العالم الفلكى محمد الطنطاوي المصرى الأزهرى الذى نزح من طنطا إلى دمشق وتوفى سنة ١٣٠٣ هـ وجامع محيي الدين بن عربى .

(٥) كالأمير العالم عبد القادر الجزائرى والشايخ محمود الحمزاوى المفتى ومحمد الطنطاوى وسليم العطار وبكرى العطار وابن عابدين صاحب التكملة والكزبرى والحايك والعمادى والحانى والشطى والطيبى والاسطوانى والخطيب والمبق وغيرهم رحمهم الله أجمعين

ومدرسة بطل الدنيا صلاح الدين ، فقم على قبره ساعة ، وترحم عليه واحمد الله ، على أن خزى ذلك الطاغية (غورو) وذل[١] والظاهرية[٢] دار الكتب ، والعادلية[٣] مثوى المجمع العلمى العربى ثم اسلك على باب البريد ، ومر بخرائب (المرادية) التى كانت إلى العهد القريب مدرسة عامرة ، حتى تزور العادلية ودار الحديث الأشرفية ، التى كان فيها البدر الحسنى بقية السلف، وزر المارستان النورى ، الذى كان مستشفى كأكبر ما يكون مستشفى فى هذه الأيام وكان مدرسة للطب ، ثم أم قبر الملك العظيم صاحب هذه المآثر نور الدين القائد الظافر والملك العادل والحاكم الكامل ، ثم ادخل القلعة ، وشاهد السور والأبواب ...

هذه دمشق ياسيدى ، أفيوفى حديث دمشق فى مقالة ؟ فأمهلنى أعد إليك محدثاً ... وأطل الحديث[٤].

هذى دمشق أقدم مدن الأرض[٥] وأجلها ، هواؤها أطيب هواء ، وماؤها أعذب ماء ، وطعامها أمرأ طعام ، ومنظرها أبهى منظر ، ومخبرها أحسن مخبر ، ولسانها أفصح لسان ، وسكانها من أكرم السكان ، فيها العلم والأدب ، والتقى والصلاح ، والحب فيها واللهو ، وفيها الفتون والجمال .

هذى دمشق كانت لب العربية ، وبقيت لب العربية ، وستظل على العصور القوادم وهى للعربية لب وقلب وفؤاد ، لها لين الماء الذى يضحك به بردى ، وشدة الصخر الذى يشمخ به قاسيون ، وصراحة السهل الذى تزدهى به المزة ، وكرم الأرض التى تعطى (فى الغوطة) أكلها أربع مرات فى العام .

لهالين بردى ، ولكن بردى إذا ضويق بالسدود ، علا وفاض واجتاح البلاد والعباد ، ودمر كل شىء يقف فى طريقه ، ويقطعه عن مراده ، فقل للغافلين : « لا يغرركم من بردى لينه وابتسامه» فإنه سرعان ما يعبس ويثور » . فاتقوا غضبة الحليم !

(دمشق) **على الطنطاوى**

القاضى الشرعى
ومدرس الأدب بالكلية الشرعية (العليا)

(١) لما دخل عدو الله غورو مدفن السلطان ، استل سيفه وقال : الآن انتهت الحروب الصليبية !

(٢) والذى يعود إليه الفضل فى إنشاء المكتبة الظاهرية ، إذ جمع فيها الكتب التى كانت متفرقة فى المساجد والزوايا ، هو مربى الجيل العلامة الشيخ طاهر الجزائرى أحد نوادر الدنيا علما وعملا وصراحة وتسليكا ، وشرف نفس وجرأة وسعيا للمصلحة العامة ، وبفضله أنشئت المدارس الابتدائية فى دمشق

(٣) نسبة للملك العادل محمد بن أيوب أخى السلطان صلاح الدين ، انتهى إليه ملك مصر والشام واليمن وأرمينيه وكان ملكا عظيما توفى سنة ٦١٥ ودفن في مدرسته ، التى اتخذها المجمع العلمي العربي فى دمشق داراً له ، وكان يسكنها القاضى المؤرخ الأديب ابن خلكان ، وحول بركتها كان يدور ليله ويهتف بيتيه المعروفين . أما الظاهرية فنسبتها إلى الملك الظاهر بيبرس . قائد المظفر صاحب الوقائع الهائلة وله تاريخ طويل ومآثر مشهورة توفى سنة ٦٧٦ ودفن فى هذه المدرسة ، وضريحه فى قاعة من أنفس القاعات الباقية فى دمشق .

(٤) انظر العدد ٥٢ من الرسالة سنة ١٩٣٤ والعدد ٣٤٠ سنة ١٩٤٠ و ٤١٩ سنة ١٩٤١ وكتابى (فى بلاد العرب) .

(٥) أعنى الآن العامرة ، فأرونى مدينة عامرة أقدم منها ؟

صور من العصر العباسي :

مآكل الخلفاء العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

لعلّ الملوك والخلفاء من أشد الناس حرصاً على انتقاء ما لذّ من الطعام وطاب ، فهم يتخيرون اللذيذ من كل شيء ، وماعليهم إن أتعبوا غيرهم ، أو أنفقوا الأموال الطوال في سبيل ذلك .

والخلفاء العباسيون ، كانوا يعنون بهذا الأمر كل العناية ، وكانوا يحرصون على ألا يفوتهم من لذائذ المآكل والثمار شيء . فكانت هذه اللذائذ تحمل من الأقطار إلى قصورهم في بغداد ليتمتعوا بها ، وكانوا يفرضون أن يُحمل إليهم مع خراج كل بلد ، ما حسن فيه من مأكل أو ثمر أو زهر . وهكذا كان يحمل مع خراج الري[1] الرمان والخوخ المقدد ، ومن أصبهان[2] والوصل العسل والشمع ، ومن الكوفة البنفسج ، ومن جرجان[3] النرجس ، ومن الصيمرة[4] النارنج ، ومن طبرستان[5] الأترج . وكان يحمل من مكة والمدينة والحجاز إلى الخليفة العنبر والزبيب ، ومن الأهواز[6] ثلاثون ألف رطل من السكر ، ومن فارس[7] ماء الورد والزبيب الأسود والرمان والسفرجل والتين . أما دمشق ، فكانت ترسل إلى الخليفة التفاح ، وكان المأمون معجباً به ، يؤخذ إليه منه ثلاثون ألف تفاحة مع الخراج .

وكانوا إذا اشتهوا شيئاً ولم يكن له نصيب في الخراج ، أرسلوا يطلبونه . فقد كانوا يطلبون ألوان اللحوم والطيور ، ولو بعد مكانها ، فتأتيهم على البريد . وينفقون في ذلك الأموال الكثيرة .

(١) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٢ / ٨٩٢) عن الري .
(٢) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ١/ ٢٩٢) عن أصبهان .
(٣) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٢ /٤٨) عن جرجان .
(٤) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٣/ ٤٤٢) عن الصيمرة .
(٥) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٣/ ٥٠١) من طبرستان .
(٦) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ١ ــ ٤١٠) عن الأهواز .
(٧) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٣ ــ ٨٣٥) عن فارس .

وكل هذا ليتمتع الخليفة بالطيبات من المآكل والأثمار .[1]

ومظهر هام من مظاهر هذه العناية يتجلى لنا ، عند بعض الخلفاء ، بالألوان الكثيرة التي كانت تهيأ له من الطعام . وقد كان عدد هذه الألوان يبلغ مبلغاً ، ما سمع ولا عرف . حدث جعفر بن محمد — وكان أحد العشرة الذين اختارهم المأمون لمجالسته ومحادثته من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم — قال : تغدينا يوماً عنده — أي عند المأمون — فظننت أنه وضع على المائدة أكثر من ثلاثمائة لون . وكلما وضع لون ، نظر إليه المأمون فقال : هذا يصلح لكذا ، وهذا نافع لكذا .[2]

ومهما يكن أمر هذا الظن الذي ظنه هذا الفقيه ، فلابد أن يكون عدد ألوان الطعام كبيراً . وقد كنا نرتاب بالخبر لولا أن ذا كره هو ابن طيفور ، ولم يؤرخ المأمون أحد مثله .

ويؤيد ما ذكرناه من تكثير الخلفاء ألوان الطعام ما رواه المسعودي ، فقد ذكر أن الرشيد كان ينفق على طعامه في كل يوم عشرة آلاف درهم . وأنه ربما اتخذ له الطباخون ثلاثين لوناً من الطعام .[3] وكان يتخذ للقاهر اثنى عشر لوناً (آدم متز ١/ ٢٤٧)

فلننظر الآن فيما كانوا يرغبون فيه .

نلاحظ أن أكثر ميل ملوك بني العباس كان إلى اللحوم ، وخاصة لحوم الدجاج . يقول الجاحظ : وملوكنا وأهل العيش منا لا يرغبون في شيء من اللحمان رغبتهم في الدجاج . وهم يقدمونها على البط والنواهض والدراج ، وعلى الجداء ... وهم يأكلون الرواعي كما يأكلون المسمنات .[4]

أما رغبتهم في الدجاج فذلك لأنه أكثر اللحوم تصرفاً . فهي تطيب شواء ، ثم حاراً ، وبارداً ، ثم تطيب في البز ماورد ، وهو طعام من البيض واللحم ، أو من رقاق ملفوفة بلحم ، ثم تطيب في الهرائس ، وتطيب طبيخاً ، وإن قطعتها مع اللحم دسم ذلك اللحم ، وتصلح للحشاوى . وسمينها يقدم في السكباجة على البط .[5]

(١) انظر فيما يتعلق بهذا الخبر ، وما سبقه : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص : ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، وانظر لطائف المعارف للمؤلف نفسه (ليدن) ص ٩٥ .
(٢) تاريخ بغداد لطيفور (الجزء السادس) ص ٥٣ .
(٣) حضارة الاسلام في دار السلام ص ١١٠
(٤) الحيوان (تحقيق هارون) ١ ــ ٢٣٣ .
(٥) الحيوان ج ٢ ص ٢٥٠ .

المجلس الأعلى وسياسة التعليم

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

أخيراً عاد والحمد لله مجلس التعليم الأعلى إلى الظهور بعد أن طال احتجابه وبعد أن طلبنا مراراً ونادينا تكراراً على صفحات « الرسالة » الغراء بضرورة إحيائه من جديد ليوجه التربية والتعليم الوجهة الصحيحة النافعة المثمرة . وإنه لجيل حقاً أن اضطلع بعضويته رجال ذوو خبرة ودراية كوزراء المعارف السابقين وآخرون من ذوي الفكر وحملة القلم، وهم جميعاً بتعاونهم جديرون برسم السياسة المستقيمة وتوجيهها التوجيه الطبيعي القويم .

ولقد سبق إحياء هذا المجلس مؤتمر لرجال التعليم دام عمله ثلاثة أيام في شهر نوفبر الماضي عقد فيها عدة جلسات وألقيت عدة محاضرات ودارت مناقشات ومباحثات بين المؤتمرين عن أهداف التعليم وسياسته ، وأصدروا عدة قرارات كان أهم ما جاء فيها ضرورة العمل على خلق المدرسة الشعبية لتضم أطفال الأمة جميعاً بين السادسة والثانية عشرة على أنقاض المدارس المتعددة الأساليب والمقاصد التي سبق أن نددنا بقيامها لما ينتاب الوالد من حيرة إذا أراد أن يلحق ولده بإحداها ولما تبعث في نفوس أطفال البلد الواحد من غل وضغينة وحسد وسخيمة تكون عوامل جفاء وفرقة بين أفراد الشعب طوال الحياة . تلك هي المدارس الابتدائية والمدارس الأولية والمدارس الإلزامية والمدارس الريفية ومدارس رياض الأطفال .

قرر مؤتمر التعليم إدماج هذه المدارس جميعها في مدرسة واحدة مدتها ست سنوات وأن تكون مرحلتها هذه خالية من اللغة الأجنبية ، وهو قرار حكيم طالما تقنا إليه ، وإنا نؤيده بكل قوانا لدى مجلس التعليم الأعلى ولدى جميع المهيمنين على التعليم تخفيفاً من حدة نظام الطبقات الذي لا تعرفه عقائدنا ولا تقاليدنا إلا في العصور الأخيرة التي طغى عليها زيف المدنية المادية ، وصوناً لوحدة هذا الشعب الذي مزقت وحدته اختلافات نواحي التفكير واختلافات الوحدات والمقاصد ، فأصبح تراثه نهباً للمستعمرين ولبعض السياسيين المحترفين الذين أشعلوا نار الخصومة والفرقة بين أفراده وأسره وجماعاته ، وساعدهم على ذلك تكون الناشئة في مدارس متباينة في الأساليب مختلفة في الأوضاع والمقاصد .

وإنا وإن كنا حمدنا الله تبارك وتعالى لتوفيق المؤتمر إلى هذا القرار، إلا إنا كنا نرجو منه أن يوفق إلى أكثر من ذلك . كنا نرجو توكيداً لفكرة الوحدة الشاملة أن يعني في قراراته بالقضاء على ثنائية التعليم التي تقضي بوجود نوعين متباعدين منه ، هما التعليم في المعاهد الدينية والتعليم في المدارس المدنية ، خصوصاً وقد تناول هذا الموضوع بالبحث أحد أعضائه . فإنها ثنائية ما أقساها على شعب موحد اللغة موحد العادات موحد التقاليد . ثنائية لا يعرفها شعب من الشعوب المتحضرة قد أدخلها علينا المستعمرون في غفلة الزمان بل في غفلتنا عن تقلبات الأيام ، دون مراعاة لحاجتنا الملحة إلى أساس نهضات الأمم من الاتحاد والوئام ، فكانت عاملا قوياً من عوامل الفرقة الحقيقية بين المتعلمين في المعاهد الدينية والمدارس المدنية منذ فجر حياتهم التعليمية . ولن تجد هذا النوع من التفرقة في بلد آخر غير هذا البلد . فهلا تزال مصر بلد المفارقات والعجائب ، وهل يصح أن نستمر على هذه الحال من السكوت على عوامل الفرقة وتركها تنخر في عظام الأمة !

فإذا كان التعليم في المرحلة الأولى بالمدارس المدنية سواء في ذلك المدرسة المقترحة أو المدارس القائمة أصبح مجانياً كما هو الحال في المعاهد الدينية ؛ وإذا كانت اللغة الأجنبية لن يبقى لها وجود في هذه المرحلة في المدارس المدنية كما هو الحال في المعاهد الدينية ، وإذا كانت هذه المعاهد الدينية قد أخذت من زمن بعيد بفكرة إدخال العلوم الحديثة جميعها في مناهجها فماذا يبقى بعد ذلك من فروق تستوجب هذه الثنائية المقوتة !

لم يعد هناك غير فارق واحد يستند عليه الأزهر وشيوخه في بقاء هذه الثنائية ، ذلك هو إهمال المدارس المدنية لدراسة الدين دراسة علمية وعملية توحي إلى نفوس الأبناء بنور الروحانيات وجلالها وعظيم أثرها . إننا نعرف حقاً بأن المدارس المدنية قد

فقدت هذه الروح فقداناً تاماً ، حتى وُجدت عندنا طبقة من الكتاب والأدباء وطبقة من أصحاب النفوذ والسلطان لا يقدرون للروحانيات قدرها ولا يدركون أثرها !

وإنه ليؤسفني أن أقرر أن الدنية المادية التي ساقها إلينا الغرب قد طغت على عقول هؤلاء جميعاً . غير أن الحرب الأخيرة التي استخدم فيها العلم شر استخدام لم تكن كلها شراً ، بل كان فيها بعض الخير لأنها نبهت أذهان الكثيرين من علماء الغرب وأتباعهم في الشرق إلى أن ساسة العالم وقادته يجب أن يغيروا من عقلياتهم القديمة ، وأن يفكروا تفكيراً جديداً يناسب ما أوحته هذه الحرب المدمرة إلى النفوس ، ويناسب ما أوحاه النصر في نفوس المنتصرين من غرور وجشع ، وما أملاه عليهم من سخرية بالمواثيق وهزء بالعهود وقضاء على حقوق الضعفاء ، وأثرة ونهم وطمع استولت كلها على نفوس الأقوياء .

نعم إن هذه الحال التي أوجدتها الحرب المدمرة وما تلاها من تصادم قوى بين الآراء الاستعمارية الجشعة التي زادت من تمكنها من النفوس سكرة النصر والشغف بالتسلط وبين الآراء الجديدة التي توحي بها تجربة الأمم والشعوب قد هزت الكثيرين من كتاب الغرب والشرق فنادوا بضرورة العودة إلى الدين ودراسته دراسة عملية بين جدران المدارس لأنه صمام الأمن الذي يهدئ النفوس ويردها عن البغي والظلم والطمع والفساد في الأرض حتى لا يكون طغيان الماديات سبباً في القضاء على المدنية القائمة . من أجل ذلك أنذرنا رجال التعليم في مؤتمرهم وأعلناهم بما يجره إهمال التعليم الديني والانصراف عن الروحانيات في أهداف التعليم وسياسته من استهتار بالفضائل في تكوين أخلاق النشء ومن ابتعادهم عن المثل العليا الروحية التي تربي القلوب ، والتي تشيع في الصدور النور والهداية والتي تحفز النفوس أبداً إلى الرقي والسمو وتعلو بها عن مدنسات المادة ودناياها ، كما تحفزها إلى العمل أبداً للمثل العليا للفضيلة والأخلاق الكريمة . ولكنا مع الأسف لم نجد من المؤتمرين سميعاً لأن قادة الشرق وزعماءه وكتابه لا زالوا سائرين على نسق الغرب وما يجري فيه . والغرب الآن لم يستقر على رأي ، ولا زالت الآراء والأفكار تصطرع فيه اصطراعاً . وقادتنا وكتابنا في انتظار ما يتمخض عنه هذا الصراع . ولا أدري لماذا نعيش عالة على آراء الغرب وتفكيره ، في حين أننا نجاهد في طلب الاستقلال . وهل هناك استقلال سياسي إلا إذا صحبه أو سبقه استقلال فكري ؟

وإذا كان مؤتمر التعليم قد اقتدى بالغرب القديم فانصرف انصرافاً عن الأخذ بجعل التعليم الديني في صلب مناهج المدارس الدنية وامتحاناتها كما يجب أن يكون ، وعن العمل للقضاء على ثنائية التعليم التي رسمها المستعمرون ، فإنا نرى في رجال المجلس الأعلى وهم البعيدو النظر من المفكرين ضماناً كافياً لبحث هذين الموضوعين الجليلين بحثاً حراً غير متأثر بالسياسة القديمة في سبيل وحدة هذا الشعب وتقارب أفكار أبنائه وتعاونهم وانسجامهم في اتجاهاتهم المختلفة . أما الأزهر ورجاله وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر وهو من أعلام الأدب وقادة الفكر فبعيد عن الظن أنهم يعارضون في فكرة التوحيد في صفوف الناشئة ما داموا يضمنون أن التعليم الديني سيأخذ سبيله المستقيم إلى المدارس ، وسيكون معنياً به كسائر العلوم الأخرى . بل أعتقد أن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر سيكون أول مناد بهذا التوحيد الذي أصبح من الضرورات الملحة في سبيل لم الشمل وتخفيف حدة التنازعات والمخاصمات التي لا تجر على هذا البلد غير الويلات والنكبات .

ولقد أحس بعض القادة والمثقفين بضرورة العناية عناية صحيحة بالتعليم الديني في المدارس فتألفت لجنة في المركز العام للاخوان المسلمين للعمل على إحياء الروح الدينية الحقة في المدارس الدنية ، وجعل الدين من العلوم الأساسية التي يمتحن فيها التلاميذ امتحاناً حقيقياً لا صورياً حتى يأخذ حقه من عناية المدارس نظارها ومدرسيها وتلاميذها فيكون له أثره الفعال في النفوس . وإنا لنأمل أن تلقى هذه اللجنة تعضيداً من جميع الهيئات الإسلامية العاملة في مصر ، وأن يشد أزرها الكتاب والأدباء المؤمنون بالفكرة حق الإيمان والذين لم تتلوث قلوبهم بالشبهات والزيغ عسى أن تلقى الفكرة ما تستحقه من عناية وتقدير في المجلس الأعلى وعند أولي الأمر جميعاً ، والله ولي التوفيق .

عبد الحميد فهمي مطر

المفتش بوزارة المعارف

٦ - الزندقة في عهد المهدي العباسي

أصولها الفارسية

للأستاذ محمد خليفة التونسي

ذهبنا في المقال الخامس (الرسالة ٦٥٢) إلى أن الفرس آمنوا بالهين : أحدهما للنور والآخر للظلمة قبل أن يظهر فيهم زرادشت أول حكيم يعيه التاريخ من حكمائهم الأولين ، وبينا أن المتنقين لهذا المذهب قبل زرادشت هم الذين يسمون «الكيومرتيه» نسبة إلى كيومرث أبى البشر في رأيهم مما يدل على إيمان الفرس بقدم هذا المذهب فيهم ، وقد أوضحنا شيئاً من آراء هذه الفئة وعبادتها في المقال السابق [1].

لا خلاف في أن الفرقة الأولى من المجوس هي الكيومرتيه . فأى الفرق ظهر في التاريخ بعدها ؟

كل الكتب التي بين يدينا والتي تعرضت لهذه الموضوعات من طريق مباشر أو غير مباشر لا تجيب جواباً صريحاً على هذا السؤال ، ونجدها تذكر الكيومرتيه والمجوسية والثنوية والزنادقة والزرادشتية والمانوية والمزدكية ولكنها لا تحدد تمام التحديد مكان هذه الطوائف من حيث ظهورها في التاريخ وإن حدثتنا أنه قد ظهر زرادشت وتلاه مانى ثم مزدك . ثم نسأل ما المراد بكل كلمة من هذه الكلمات ، وماذا تمتاز به تعاليم كل طائفة عن مثلها ؟ هذا على فرض أن هذه الكلمات ليست مترادفة ولا مشتركة ولا متداخلة . فان كانت مترادفة أو مشتركة أو متداخلة فكيف تترادف أو تشترك أو تتداخل ؟

إن النصوص التي بين يدينا فيها كثير من الاضطراب والخلاف ، فالمجوسية تطلق أحياناً على كل المذاهب الفارسية ، وتطلق أخرى على بعضها دون بعض ، والزندقة تطلق على جميع الثنوية أحياناً وتطلق أخرى على طائفة من الثنوية ، وهكذا ، ثم إن الثنوية قد تذكر قبل الزرادشتية ، وأحياناً تذكر دون أن يعين موضوعها في التاريخ إزاء الزداشتية وهكذا ، ونحن مضطرون في معرفة معنى الزندقة ولا سيما في عهد المهدى العباسي وهي موضوع هذا البحث - مضطرون إلى فهم أصول التعاليم التي ظهر بها الزنادقة على عهده ، وإذن فنحن مضطرون إلى فحص هذه المذاهب لبيان ما له أثر منها في هذه الزندقة وما ليس له أثر منها فيها . هذا وإن كثيراً من الكتب التي بين أيدينا تربك عقولنا لأنها تفاجئنا بآراء من غير أن تذكر لنا أصولها وتطوراتها حتى وصلت إلى صورتها الأخيرة ، ومن شأن هذه المفاجأة أن تربك العقل لسقوط بعض الحلقات في سلسلة تطورها ؛ ومن أجل ذلك تستميح القراء و «الرسالة» الصفح لهذا الاستطراد الذي لا مفر لنا منه ولا غنى لنا عنه لفهم الزندقة في عهد المهدى فهماً يسيراً لا تعقيد فيه ولا مفاجأة .

في الفصل الذي عقده القلقشندى للكلام في المجوسية وفرقها [1] يقول : «المجوسية : وهي الملة التي كان عليها الفرس ومن دان بدينهم» ثم يقسمهم ثلاث فرق : الفرقة الأولى الكيومرتية والثانية الثنوية والثالثة الزرادشتية ، وفي الزرادشتية يفصل القول في زرادشت ومانى ثم يذكر مزدك . فهو يطلق المجوسية على كل المذاهب الفارسية ، وترتيبه الفرق على هذا النحو يدل على أنه يذهب إلى أنها قد ظهرت في التاريخ كذلك : الكيومرتية ثم الثنوية ثم الزرادشتية ، وكل هذا غير صحيح ، وسندلى بحججنا في ذلك إن شاء الله ، على أنا لم نجد فيما قرأنا من رتب هذه الفرق من حيث ظهورها في التاريخ فلا بد من ترتيبها الترتيب الصحيح .

سبق الكلام في الكيومرتية وأنها الفرقة المجوسية الأولى وأقدم الفرق الفارسية بلا شك ، وهي كذلك في رأى القلقشندى

---

(١) الزندقة في عهد المهدى العباسي — الرسالة ٦٥٢ . وانظر أيضاً صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٩٢ وما يليها ومروج الذهب للمسعودى جـ ١ ص ١٠٥ ، ٢٩٣ (طبع بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) وكتاب الآثار الباقية للبيرونى ص ٢٠٤ (طبع ليبسك سنة ١٩٢٣ م ، وقد نشره أدوهراسويتز O. Aarrassoultz) ونهاية الأرب للنويرى جـ ٨ ص ١٠٢ وما يليها .

(١) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٩٢ ، ٢٩٨ .

فأما الثنوية فلم يقل فيهم إلا ما نصه : « هم على رأى الكيومرتية فى تفضيل النور والتحرز من الظلمة ، إلا أنهم يقولون : إن الاثنين اللذين هما النور والظلمة قديمان » قد أنكرنا عقلا أن تظهر فى التاريخ الثنوية قبل الزرادشتية لأن الزرادشتية لم تقل بقدم النور والظلمة ، بل ذهبت مذهب الكيومرتية فى سبق النور الظلمة ، ومعنى ذلك — كما فهمنا من الكيومرتية والزرادشتية — القول بتضاد الأشياء وتماقبها وأن النور قد سبق الظلمة فى الوجود أما القول بقدم النور والظلمة معاً ففكرة زائدة جديدة ، فمن المنكر عقلا أن تظهر الثنوية القائلة بالقدم قبل الزرادشتية ، لأن رأيها أعقد من رأى الزرادشتية ، والآراء — ككل مافى الوجود — تبدأ بسيطة ثم تتعقد ، ولا عكس ، ومن أجل ذلك شككنا ثم أنكرنا رأى القلشقندى فى وضع الثنوية قبل الزرادشتية ورجعنا إلى ما بين يدينا من المصادر فوجدنا فيها ما يؤيد هـذا الإنكار ، ونبادر بدفع ماقد يسبق إلى العقل من توهم يوقعنا فيه مايدل عليه لفظ الثنوية لغويا ، وهو أن الثنوية تطلق على كل القائلين بأن للكون أصلين : النور والظلمة ؛ أوخالقين أحدهما إله النور يزدان وإله الظلمة أهرمن . بل إن الثنوية فرقة يميزها من سائر الفرق القائلة بأصلين : النور والظلمة — أنها تقول بقدم الاثنين كما حكى مذهبهم القلشقندى ، فالقول بالقدم ركن هام فى العقيدة الثنوية .

ويسند ابن النديم فى الفهرست القول بالقدم إلى مانى المولود فى سنة ٢١٥ م فيقول إنه « يزعم بأن العالم مصنوع من أصلين قديمين هما النور والظلمة ، وأنهما أزليان سرمديان ، وأنه ما من شىء إلا وهو من أصل قديم » وكل ما ذكره ابن النديم صحيح ، ولكن ليس مانى أول من قال بقدم الإشياء من بين الحكماء عامة ولا حكماء الفرس خاصة . لقد ظهرت الثنوية بعد الزرادشتية وقبل المانوية فيما نرى ، فلنتكلم فى الزرادشتية قبل الثنوية ، ولينظر نا القراء الأدلة على رأينا وبيان المراد من الثنوية ومن ظهر مذهبها على يده إلى حيث الكلام فى الثنوية إن شاء الله .

ظهرت الزرادشتية بعد الكيومرتية وصاحبها الذى تنسب اليه هو زرادشت [1] أول حكيم يعيه التاريخ من حكماء فارس ، وقد ظهر فى عهد الملك كيستاسف [2] السابع من ملوك الكيانية وهم الطبقة الثانية [3] من ملوك الفرس ، وكان مولده فى منتصف القرن السابع قبل أن ينهض الفرس بقرن كامل نهضتهم السياسية على يد كورش الأكبر (٥٥٠ ق . م) ويستقلوا ببلادهم ويطردوا منها الميديين ثم يمتلكوا ميديا أيضاً ويخضعوا الليديين فى آسيا الصغرى وتصل حدودهم إلى البسفور ، لقد سبقت النهضة العقلية فى فارس النهضة السياسية بأكثر من نصف قرن كما سبقت النهضة العقلية فى الصين والهند بنحو قرن فلم يولد جوتاما مؤسس الفلسفة البوذية فى الهند ولا كنفشيوس مؤسس الفلسفة المنسوبة اليه فى الصين إلا فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

---

(١) زرادشت (بضم الدال) وفى بعض الكتب زردشت (بضم الدال وفتحها) وزرادشترا وزروسترا عند الغربيين Zoroaster و Zoroastre وكذا Zardushi وترسم أيضاً زردشت ، والرسم الأول أشهر ولذا استعملناه دون غيره .

(٢) كيستاسف فى محاضرات الراغب وعند ابن خلدون والقلقشندى ، وكشتاسب عند المسعودى ، وكشتاسف فى الملل والنحل ، ويستاسف فى التاج للجاحظ ، وجشتاسب فى الشاهنامة للفردوس ، وبستاسب فى الكامل لابن الأثير ، وقد استعملنا الأول لأن هذه الطبقة الكيانية التى ينسب إليها الملك إنما سميت كيانية لأن أسماء ملوكها تبدأ بكلمة كى وهي أظهر فى الأول من غيره .

(٣) يقسم المؤرخون ملوك فارس منذ القدم حتى الفتح الاسلامى لفارس أربع طبقات الأولى الفيشداذية أو البيشداذية (البيرونى) أو الحداهان (المسعودي) من كيومرث إلى أفريدون والثانية الكيانية وهم من بعدهم إلى دارا بن دارا الذى هزمه الاسكندر المقدونى فى موقعة أربل سنة ٣٣١ ق . م . وعند الغربيين الأكينية Acheamenian وهكذا يسميهم مترجمو دائرة المعارف الاسلامية إلى العربية وكان الأولى الرجوع إلى التسمية العربية القديمة (الكيانية) المستعملة فى كتب التاريخ العربية ، والطبقة الثالثة الأشكان أو الأشغان أو ملوك الطوائف (ابن خلدون والمسعودى) وهم من حكموا فارس متفرقين من القبط والعرب والفرس بعد فتح الاسكندر فارس إلى سنة ٢٦٦ م إذ استولى أردشير الأول فيها على فارس وحدها ، والطبقة الرابعة الساسانية وأولهم أردشير الأول هذا وجده ساسان الذى تنسب إليه هذه الطبقة وآخرهم يزدجرد بن شهريار الذى قتل فى عهد عثمان بن عفان سنة ٣١ هـ (٦٥٢ م) وخضعت فارس للعرب بعد قتله ، وبعضهم يدمج الطبقتين الأوليين معـا فيجعل الطبقات ثلاثا (القلقشندى) ، وتنطق الكاف نطق الجيم القاهرية .

وليس من همنا هنا أن نخوض بالاثبات أو النفي فيما يحيط به الفرس حكيمهم زرادشت ومولده وخلقه وحياته من مناقب ولا فيما روته القصص الفارسية في ذلك من أساطير مما يدل على أنهم كانوا يكنون له أسمى درجات الحب والتقديس، ولمن شاء ذلك أن يرجع إلى المبسوط من كتب التاريخ وكتب الملل والنحل وكتب الفلسفة، كما أنه ليس مما يعنينا الحكم على هذه الروايات فلها مثيل عند كل الأمم قديمها وحديثها في موقفها تجاه أبطالها أياً كانت الناحية التي برزوا فيها، ولن نعرض لما نسب إليه من صلات ببعض أنبياء بني إسرائيل وما قيل عن تأثير ذلك فيه وما كان من خيانته وهربه من فلسطين إلى بلخ فكل ذلك فيما أرى زعم يهودي أساسه العصبية اليهودية التي تأبى إلا أن تحتجز الفضل في كل نبوغ في اليهود، وترد كل نبوغ خارج عنهم إلى أصل فيهم، وحسبنا من الكلام في زرادشت أن نبين إجمالا تعاليمه التي كان لها أثر في الزندقة الفارسية قبل الاسلام ثم الزندقة على عهد المهدي العباسي، وحسبنا في هذا الإجمال ما يجنبنا المفاجأة المربكة.

ولد هذا الحكيم في منتصف القرن السابع في أذربيجان من إقليم ميديا الذي كان تابعاً في هذا الوقت للدولة الكيانية التي عاصمتها بلخ[1]، وقد طوف بالبلاد الفارسية واتصل بكثير من حكمائها للدرس والمشاورة في العقائد والأساطير الكيومرتية التي كانت قبله والإصلاحات التي تحتاج إليها فارس في عهده وهي تتأهب للنهضة السياسية التي ظهرت آثارها بعد وفاته، وقد اتصل بالملك كيستاسف في عاصمة بلخ واستطاع أن يقنعه بالدخول في مذهبه، وقد كان ذلك نصراً كبيراً له إذ عمل الملك على نشر مذهبه وإدخال الناس فيه فانتشر في جميع الأنحاء الفارسية، ومما أعان على ذلك بقاء زرادشت يبشر بمذهبه في الفرس خمساً وثلاثين سنة ومات نحو سنة ٥٨٣ ق. م بعد أن عاش سبعاً وسبعين سنة، وقد خلف زرادشت مذهباً وكتاباً[2].

فأما المذهب فقد جاء به مصدقاً لما بين يديه من الكيومرتية أو الصابئية التي كانت قبله[3] فأيد القول بالهين اثنين أحدهما يزدان للنور والآخر أهرمن للظلمة لأنه وجد من التعذر إسناد الخير والشر في العالم إلى مصدر واحد مع اعتقاده بأن يزدان أسبق من أهرمن وأنه خالقه، والقول بأن العالم خلق من النور يدل على عبقرية ثاقبة، ولولا ضيق المقام لفصلنا القول فيما تدل عليه هذه النظرة الرائعة، وحسبنا أن نشير إلى أنها لا تختلف عن النظرة العلمية الحديثة في بناء الكون، فقد فقدت المادة اليوم ماديتها بعد أن ثبت أن أجزاءها كالضوء ذات خاصية موجية، وأنها مؤلفة من كهرباء، وثبت ذلك بالبرهان المحسوس بعد أن أخذت صور البروتونات والألكترونات المتحركة وثبت أن كتلة الألكترون وهي معيار ماديته علتها حالته الكهربائية، وبذلك صارت المادة نوعا من أنواع الطاقة، فيقال الطاقة المادية، كما يقال الطاقة الكهربائية والطاقة المغناطيسية بلاخلاف، ولا ريب أن زرادشت عبر عن هذا بلغة الأسطورة لا لغة العلم وأنه لم يصل إلى ذلك من طريق المنطق ولا التجربة، بل من طريق اللمح الفني العبقري المنبعث من الشغف القوي بالطبيعة، وقد كان لهذا الرأي أثر في كثير من مفكري الأمة الفارسية وغيرها كاليونان والعرب، وقد رمز القرآن الكريم إلى هذا المعنى العميق وعبر عنه تعبيرا واضحا في الآية الكريمة: « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس[1] ».

(يتبع) **محمد خليفة التونسي**

---

(١) انظر ما كتبته سترك streck في مادة أذربيجان في دائرة المعارف الاسلامية، والنسبة إليها أذرى.

(٢) المسعودي في مروج الذهب جـ ١ صـ ١١٠، وابن خلدون= في العبر جـ ٢ القسم الأول صـ ١٦١ (طبع بولاق سنة ١٢٨٤هـ) ابن الأثير في الكامل جـ ١ صـ ١٠٠ (طبع المطبعة المصرية الأزهرية سنة ١٣٠٢هـ).

(٣) يسميها الكيومرتية القلقشندي في صبح الأعشى جـ ١٣ صـ ٢٩٢ ويسميها الصابئية البيروني في الآثار الباقية صـ ٢٥٤ وابن الأثير في الكامل جـ ١ صـ ١٠١.

(١) سورة النور: الآية: ٣٥.

أغنية:

سماء الهرم . . .

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

جئت لا أحمل إلا سقمى
فتعالى . . أطفئى نار دمى !
واشفى لى يا سماء الهرم
كم تلونا ها هنا سفر الجدود
هذه الصحراء والليل شهود

طالعتنى بين أطواء الرمال
قصة للحب وارتها الليالى
نسجت من ذوب قلبى وخيالى
آه لو كانت لياليها تعود
هذه الصحراء والليل شهود

كم دعونا ليلة البدر هنا
وارتمى الفجر على أقدامنا
فإذا نحن . . حبيبى وأنا
فى جلال الهرم العاتى سجود
هذه الصحراء والليل شهود

كان يصغى لأناشيدى السكون
وتباهى بغرامينا السنين
يا حبيبى . . إننى قلب أمين
عدت للماضى أغنى من جديد
هذه الصحراء والليل شهود

أسكر البيد هنا وقع خطانا
وأعاد الليل الحانى هوانا
وتغنى الصبح لو كان يرانا ،
فيغنى حولنا كل الوجود !
هذه الصحراء والليل شهود

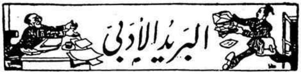
يا حنينى . . كل شىء ذاكرى
وأنا أسأله عن هاجرى
كيف ينسانى ويشقى حاضرى ؟
أين ولّى يا تماثيل الخلود ؟!
هذه الصحراء والليل شهود

عدت لا أحمل إلا سقمى
فتعالىْ . . أطفئى نار دمى
واشفى لى يا سماء الهرم
كم تلونا ها هنا سفر الجدود
هذه الصحراء والليل شهود

فى ليلة قمراء . . .

للشاعر ابراهيم محمد نجا

كل قيس مع ليلى قد طواها ... ومعى الأحلام لا شىء سواها !
وأنا الشاعر قلبى مسرح ... لمنى علوية لا تتناهى
أخلق الحب من الوهم ، وكم ... تخلق النفس من الوهم رؤاها !
وهنا الحب . . . قلوب تلتقى ... حيث تدعوها أمانىُّ صباها
إيه يا بدر لمن هذا السنا ... غازل الأمواج وهْناً فسباها ؟
ولمن يا نيل تسرى حالما ... بليالٍ موجك الشادى رواها ؟
وتغنى أغنيات حلوةً ... فيوافيك من الشط صداها
ولمن يسرى نسيم هامس ... بأغان تفهم الروح لُغاها ؟
لقلوب لقيتْ أُلاَّفَها ... فاطمأنت واستراحت من جواها
ونفوس سعدت فى حبها ... حين نالت منه ما بلّ صداها
من لقلب لم يعانق إلفه ... ولنفس لم تجد بعدُ هواها ؟
إيه يا نيل لطير مغرد ... فى مغانيك ، وآهاً ثم آها
كلما وافى المغانى شادياً ... غلب الحزن عليها فبكاها !
إيه يا نيل لروح شارد ... مستطار ضل فى الدنيا وتاها
كلما جدّد فى الحب المنى ... غلب اليأس عليه فطواها !



– هذى دمشق !

ما بدا حب دمشق أختها الكبرى مصر ، وتعلقها بهـا ، وتمسكها بالعروبة وكرهها لهذه الشيوعية الآثمة كما بدا فى هذين اليومين ، أثر تلك البرقيـة الوقحة التى بعث بها النفر الضالّون المنكرون من رجال وزارة المعارف ، ولم يقتصر الأمر على البرقيات والاحتجاجات ، بل لقد أضربت مدارس دمشق كلها يوم الخميس وخرج تلاميذها يقدمهم طلاب الجامعة السورية ، فى مواكب لها أول وليس لها آخر يهتفون للعروبة ولمصر ، ويبرؤون من هذه النحلة والداعين إليهـا . وتبعتهم مظاهرات العمال ، تهتف مثل هتافهم ، وتنادى بندائهم ، ولم يبق الجمعة منبر مسجد فى دمشق إلا هبطت من فوق أعواده اللعنات على الشيوعية وعلى أذنابهـا فى المعارف ، أما الصحف الشـامية ، فلقد قرأ الناس فى مصر ما كتبت ونشرت ، وكان أول من انتدب نفسه من الصحفيين لدرء هذا الشر الأستاذ نجيب الريس صـاحب (القبس) ونائب دمشق فى المجلس ، وابن عمه الأستاذ منير الريس ، المجاهد ذو المواقف صاحب (بردى) ، فسجل هذا لهما فى (الرسالة) سجل العرب .

وما كان ذلك اهتماما بأصحاب تلك البرقية ، فهم أقلّ وأذلّ من أن تهتم بهم دمشق ، ولـكن اعتذاراً إلى مصر ، ومحـاربة لهذه الشيوعيـة المدمرة ، واحتجاجا على وزارة معارف الشـام إذ تجعل كُبْر أمر التعليم إلى مثل هؤلاء ، مع مجاهرتهم بالدعوة إلى الشيوعية ، والعمل لمصلحة دولة أجنبية ، والتدخل فى شؤون المملـكة المصرية ، ومع ما هم عليه من الخفة والرعونة والطيش ، ولقد وعدت الحـكومة وعد الصدق بطردهم من وظائفهم ومحا كتهم ، وإنا لمنتظرون !

٢ — تأديب السفهاء :

أما وقد عرف قراء الرسالة بداية خبر تلك البرقية التى تطاول فيها النفر الشيوعيون على حكومة مصر ، فليعرفوا نهايته ، وهى أن وزير المعارف الأستاذ صبرى العسلى بك قد أحال هؤلاء النفر إلى «لجنة تأديب الموظفين» — وكذلك يؤدب الـكبار إذا فعلوا مثل فعل الصغار ...

وإنا لنشكر الوزير على أن أنقذ أبناءنا من مربين ومؤدبين ، لا يزالون محتاجين إلى التربية والتأديب !

دمشق **« على »**

الى الأستاذ الفاضل محمد محمود شاكر :

سلام عليك . وبعد فقد قرأت مقالك فى مجلة الرسالة المباركة فى العدد الخاص بالعام الهجرى فأعجبت به كثيرا . إلا أنى دهشت فى أوله من عبارتك (السلام عليكم) موجهة للأستاذ الزيات ، ذلك أن القاعدة التى ذكرتها كتب اللغة لاستعمال هذه العبارة ، هى أن نبتدىء فى أول الـكتاب بـ (سلام عليك ، أو عليكم) بدون (أل) التعريف ، ثم ننتهى بـ (والسلام عليك أو عليكم) بذكر (أل) ، وتـكون أل هنا المهدية ، وهـذا نظير قولك :

إيه يا نيـــل لصب ضارع ... يشتهى اللقيا ، ويشتاق جناها
طافت الغيد عليه فى الـكرى ... ورأى فيهن « ليلى » فاصطفاها
وتغنى بهواها ، وشـــدا ... بصباها ، وهفا نحو سناها
ثم ردّته الليـــالى شاكياً ... ثائر الأشواق يبكى من لظاها
إيه يا نيـــل لعمر ضائع ... فى منى الروح ، وأحلام كراها
وشـــباب تنقضى أيامه ... وخطى الحرمان واليأس خطاها
روضة العشاق فى دنيا الهوى ... ليس لى من زهرة فوق رباها
غير همس من رباها ذائع ... ونسيم عطّرته من شذاها
آه لو جئتـك يوماً ومعى ... فرحة النفس ، وأنوار دجاها
لجلسنا نتناجى فى الهـوى ... بقلوب طائف الشوق دعاها
ونسينا العمر والدنيـــا معاً ... وتركنا الروح تسرى فى عُلاها
وبنينا حيث شئنا معبـداً ... وعبدنا مبـدع الحب إلها
أيهـا العشاق غنوا فى الهوى ... وانهبوا اللذات فالعمر فداها
واذكرونى زهرةً لم يُروها ... نبع حب ... آه لو كان سقاها !
واسمعـونى يا رفاق طائراً ... طاف بالآفاق يبكى فشجاها
فعسى الأيام أن يبسمن لى ... ولعـل النفس أن تلق مُناها

(جاءني ضيف فأكرمت الضيف) ، ولك يا أستاذ أن ترجع إلى كتاب أدب الكاتب لتقف على حقيقة الأمر .

وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة تشير إلى صحة قسم من القاعدة . قال تعالى : « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »

وقال تعالى : « قال سلام قوم منكرون » ... الخ فالملاحظ هنا أنه لا حاجة إلى تعريف (سلام عليكم) بالألف واللام .

وقال ذو الرمة :

امنزلتي ميّ سلام عليكما هل الأزمن اللائي مضين رواجع

وقال البحتري :

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد أما لكم من هجر أحبابكم بُدّ

والواقع أن هذه غلطة شائعة في الوقت الحاضر ، وما كنت أستغرب لو وجدتها عند بعض الكتاب ، إلا أن ثقتي القوية بعلمك في اللغة العربية وتبحرك بها هي التي دفعتني إلى الاستغراب .

وأخيراً : أرجو التفضل بإبداء رأيك في الموضوع ، ففي ذلك خدمة للأدب العربي وأدبائه . والسلام عليك .

بغداد صبحي البصام

صحف طرابلس الغرب :

كانت في طرابلس الغرب قبل احتلال الطليان لها نهضة أدبية مباركة ، وكان للأدباء فيها رابطة كلها صحف ومجلات ، وقد نبغ الكثيرون من الشعراء والأدباء الذين لولا استعمار إيطاليا لبلادهم — كان لأدبهم شأن يذكر في البلاد العربية .

وقد كانت جريدة « الرقيب العتيد » رسولة هذه النهضة وحاملة لوائها . وكان صاحبها المرحوم الأستاذ محمود فهمي نديم بن موسى من قادة الرأي والفكر يسانده نخبة من الشباب المثقف الحر .

وهناك جريدة « العدل » وصاحبها الأستاذ محمد بانون التي كانت نبراساً للوطنية والحق . وما احتل الإيطاليون هذه البلاد حتى خمدت هذه النهضة الأدبية ، وخارت عزائم الأدباء ، ولكن الإيطاليين بدأوا يدفعون فاقدي الضمائر ومريضي القلوب من الأدباء إلى تمجيدهم والإطناب بذكرهم ، وأجبروا صاحبي الرقيب والعدل على السير بموجب سياستهم ، وأصدروا مجلة مصورة سموها « ليبيا المصورة » كانت هي المجلة الرسمية للإيطاليين ، تعبر عن رغباتهم وتشيد من ذكرهم ومجدهم ، وظلت الحال هكذا حتى كانت الحرب الأخيرة ، إذ اضمحلت الروح الأدبية تماماً ، واختفى ذلك البصيص الضئيل من الشعر والنثر ، وساد القطرجهل وصمت وسواد ! فهل نرى الآن وقد بدأ طائر السلام يرفرف بجناحيه نهضة جديدة في طرابلس الغرب تقوم على أكتاف وسواعد شبابه العربي ونرى مجلاته تشق طريقها في الحياة كزميلاتها صحف العروبة ؟ فلعل ذلك قريب .

(دمشق — دار المعلمين) صلاح الدين بن موسى

الشيخ نصر الهوريني وتيمور باشا :

ذكر الأستاذان أحمد أمين بك ، ومحمد كرد علي بك في كتاب « ذكرى أحمد تيمور باشا » الذي ظهر حديثاً في ص٣٠ وص ٧٧ أن العلامة أحمد تيمور باشا كان في جملة أساتذته الشيخ الهوريني

وأنا أعلم أن وفاة الشيخ نصر الهوريني كانت سنة ١٢٩١ ، كما ذكره العلامة تيمور في كتابه « تصحيح القاموس » ص ٤٢ ، والأستاذ الزركلي في « الأعلام » . والعلامة تيمور ولد سنة ١٢٨٨ ، فتكون سنه ثلاث سنوات عند وفاة الشيخ الهوريني . ويمتنع أن يكون الباشا تيمور في هذه السن صديقاً للهوريني أو تلميذاً له . فذكره في معارف أحمد تيمور خطأ ، وجل من لا يخطئ .

عبد الفتاح غدة

حول سناد التأسيس

أخذ الأستاذ — رضوان — على قصيدة الشاعر الغزالي في عدد ٦٥٢ أن في بيتين منها ما يعده العروضيون سناد التأسيس .

فقال الأستاذ — عدنان — بل هو سناد الاشباع عدد ٦٥٤ والواقع بأن فى البيتين سناد التأسيس لأن سناد الاشباع إنما يعرض على الدخيل ولا يكون الدخيل إلا بعد التأسيس وقد انعدم التأسيس فلا دخيل فضلا عن سناد الاشباع فليس فى البيتين إلا سناد التأسيس . وقد حاول الشاعر الغزالى أن يدفع عن البيتين مستنداً إلى أن ما استشهد به — الكافى فى علمى العروض والقوافى — اسناد التأسيس من قول العجاج :

يا دار سلمى يا اسلمى ثم اسلمى خندف هامة هـــذا العالم

يختلف عن بيتيه ؛ والواقع أن بيت العجاج وبيتى الشاعر متساويان فى سناد التأسيس .

وبعد فاستكمالا للفائدة نقول : إن العلماء لم يعترفوا الاستشهاد على سناد التأسيس ببيت العجاج لأن روايته المشهورة همز ألف . فقد استشهد به الزمخشرى — فى مفصله لهمز الألف فى باب الإبدال . وكذا — الرضى — فى شرحه للشافية .

محمد الطنطاوى
أستاذ بكلية اللغة العربية

١ — تصوير الأنبياء :

رأينا فى مجلة « الطالب » التى تصدر فى القاهرة صورة على غلاف العدد (٧٠) صورة تمثل سيدنا ابراهيم الخليل وأمامه ابنه اسماعيل الذبيح عليهما الصلاة والسلام ، وفوقهما ملك ذو جناحين يمثل سيدنا جبريل وأمامهما كبش ... !

ثم رأينا على غلاف العدد (٧١) صورة تمثل ناقتين أمامهما رجلان ، والصورة تشير إلى الهجرة . فاستنكرنا واستنكر معنا الكثيرون هـذه الطريقة الجديدة فى تمجيد الذكريات المجيدة والأعياد الإسلامية ...

إنها طريقة لا يقرها الشرع ولا العقل ولا الذوق ؛ وفى العدد نفسه صورة متخيلة للامام الجليل أحمد بن حنبل . وإن مجلة لا تحترم الأنبياء ولا الأئمة ، ولا تعرف لهم مكانتهم ، لهى مجلة جديرة بالوأد فى المهد ...

٢ — وقاحة الشيوعيين :

ثارت فى هـذا الأسبوع فى دمشق ضجة كبرى بشأن الكتاب الذى أرسلته إلى مصر فئة ضالة من أذناب الشيوعيين تحتج فيه على حكومة مصر لمكافحتها لجماعة الشيوعيين ومقاومتها إياهم ، وكانت النقمة شديدة على موقعى الكتاب ، وهم من أبرز موظفى وزارة المعارف ، وقد اهتمت الحكومة السورية بهذا الأمر وقررت أن تفصل هؤلاء الموظفين عن مناصبهم ، وأن تحيلهم على لجان التأديب لينالوا جزاء وقاحتهم وخيانتهم . ولا زال هياج الشعب على أشده ، وهو يطالب باتخاذ التدابير الفعالة للقضاء على الشيوعية الخبيثة قضاء مبرماً لا قيامة لها بعده .

(دمشق) ناجى الطنطاوى



دهاء سيدة

للقصصي الايطالي (موفاني بوكاشيو)

بقلم الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن

كان يقطن في بلدة أرامينو بإيطاليا تاجر غني متزوج من سيدة جميلة صغيرة السن . وكان هذا الزوج شديد الغيرة والقسوة على زوجته ، لا لشيء إلا لأنه كان يحبها غاية الحب ، ويهواها من كل قلبه هوى عنيفاً مبرحا . فكان يظنّ لهذا السبب أن الناس جميعاً يحبونها كما يحبها ، ويهوونها كما يهواها ، وأنها تبادلهم إعجابا بإعجاب ، وافتتاناً بافتتان ! ومن هنا نشأت غيرته العمياء عليها ، وتولد في قلبه الخوف والقلق من حسنها الذي كان يخلب الألباب ويستهوى الأفئدة . فكان يراقبها مراقبة شديدة ويمنعها من الذهاب إلى الكنائس والولائم والحفلات العامة ، بل لقد بلغت به الغيرة إلى حد أنه كان يمنعها من الخروج في المواسم والأعياد التي كان يحتفل بها عامة الشعب ، فكان ذلك سبباً في تنغيص حياتها وتكدير صفوها .

وهداها التفكير أخيراً إلى أن تقابل هذا العدوان وتلك القسوة بمثلهما . ففي أحد الأيام وقعت عيناها على شاب جميل وسيم الطلعة يقطن في المنزل الملاصق لمنزلها . وقد استرعى هذا الشاب انتباهها قبل ذلك عدة مرات ، ولكنها لم تكن تعيره أدنى التفات ، ولم يخطر ببالها أن تهتم بغير زوجها في يوم من الأيام ، حتى إذا طفح الكيل ، وبلغت غيرته وقسوته أقصى حدودهما ، لم تستطع السيدة صبراً أكثر من ذلك ، فأخذت تبحث في جدران مسكنها علها تعثر على ثغرة يمكنها أن تخاطب هذا الشاب بواسطتها ، لتذهب عن نفسها ذلك الملل الذي كانت تحس به من جراء حبسها في المنزل آناء الليل وأطراف النهار . وهداها البحث أخيراً إلى العثور على ثغرة صغيرة في إحدى الغرف الخلفية لمسكنها ، فسرت لهذا الكشف السعيد سروراً عظيما وخاطبت نفسها بقولها (إذا كانت هذه الثغرة تؤدي إلى غرفة فلبو — وهو اسم الشاب — فإن خطتي لا بد أن تصل إلى النجاح المنشود ، والفوز المرتقب !) ولم تلبث أن دعت إليها خادمتها وكلفتها بأن تتحقق من هذا الأمر بنفسها . فعادت اليها الخادمة التي كانت ترثي لحالها ، وتتألم لسوء معاملة زوجها لها ، وأخبرتها أن فلبو يبيت في هذه الغرفة التي عثرت على الثغرة المؤدية اليها بطريق المصادفة . فسرت السيدة لهذه البشرى الطيبة وأتت بباقة صغيرة من الزهور اليانعة ذات العطر الشذى ، والأرج الزكي ، وألقتها من الثغرة التي كانت لا تتسع لأكثر من إدخال رأسها ، في مكان ظاهر من غرفة فلبو وظلت واقفة في مكانها تترقب أوبته بفروغ صبر . فلما حضر الشاب ووجد باقة الزهور في حجرته دهش لذلك دهشة عظيمة ، سيما وأنه لم يكن متزوجا وكان يقطن في هذا المسكن بمفرده ، وزادت دهشته حينما أطلت السيدة برأسها من الثغرة الضيقة ونادته باسمه ثم عرفته بنفسها ! ووقف الشاب مبهوتاً زائغ البصر لحظة ولكنه لم يلبث بعد أن هدأ روعه ، واسترد هدوءه ، أن رحب بهذه الصداقة الجديدة التي كان ينتظرها منذ زمن طويل من غير طائل ، ومن هذا الوقت بدأت السيدة والشاب يقطعان الوقت في المسامرة والحديث فكان ذلك سبباً في سرورهما وغبطتهما معاً .

ولما اقترب عيد الميلاد كانت السيدة قد دبرت خطتها للانتقام من زوجها فقالت له ذات يوم وهي تحاول جهدها أن يكون كلامها طبيعياً على قدر الإمكان :

— إنني أود الذهاب إلى الكنيسة لأعترف للقسيس بخطاياي !

فذعر الزوج لهذا الطلب الغريب الذي لم يكن يتوقع سماعه منها وقال :

— وأي خطيئة ارتكبتها حتى تودين الاعتراف بها للقسيس؟

فابتسمت زوجته ابتسامة ماكرة وقالت :

— أو لست يا عزيزي بشراً كسائر البشر؟ أم تحسبني قديسة من القديسات أو راهبة من الراهبات ؟

ثم سكتت سكتة قصيرة واستطردت قائلة :

— وهل تعتقد أنني معصومة من الزلل ، أو بعيدة عن الوقوع

فى الخطأ ما دمت تشدد الرقابة على وتحبسنى بين جدران منزلك ؟

وهنا أطرقت برأسها إلى الأرض وقالت له بلهجة حزينة ، ونغمة مؤثرة :

— آه لو كنت قسيساً لاعترفت لك بكل شىء ، ولكنك مع الأسف لست إلا فردا عاديا كسائر الأفراد ، وبشراً سوياً كبقية البشر !

فذهل الزوج لجرأة زوجته وكاد يصعق فى مكانه لأنه كان يعتقد أنها آخر من تفكر فى ارتكاب الخطيئة أو الوقوع فى الإثم، ولكنه تظاهر أمامها بالهدوء والسكينة بالرغم من أنه كان يغلى فى قرارة نفسه كالمرجل .

ثم صمم أخيراً على أن يعرف خطاياها بنفسه مهما كلفه ذلك من جهد ، أو كبده من مشقة وعناء ...

فلما حل عيد الميلاد صرح لها بالخروج فى ذلك اليوم ولكنه حظر عليها الذهاب إلى كنيسة غير كنيستها ، وأمرها بألا تعترف بخطاياها لقسيس غير قسيسها ، ثم نبه عليها بأن تعود بعد ذلك إلى المنزل مباشرة . ففهمت السيدة غرضه وأجابته إلى رغبته بهزة خفيفة من رأسها !

وكان زوجها قد سبقها فى الذهاب إلى الكنيسة قبل ذلك ببضعة أيام واتفق مع القسيس على أن يرتدى ملابسه ويحل محله فى مقابل أجر كبير أعطاه إليه ليتسنى له معرفة خطايا زوجته بنفسه ، فلما حضرت وسألت عن القسيس ذهبوا بها إلى زوجها الذى كان قد سبقها فى الوصول إلى الكنيسة ببضع دقائق ! فعرفته زوجته لأول وهلة بالرغم من أنه كان قد أخفى وجهه بحيث لم يكن يتبين منه سوى عينيه ، ولكنه لم يستطع أن يغير لهجته ، ولا أن يبدل صوته بالرغم من أنه كان يحاول ذلك جهد طاقته ! وهذا ما أكد للسيدة أن الواقف أمامها ليس إلا زوجها دون سواه !

فابتسمت لمرآه ابتسامة مريرة متكلفة وخاطبت نفسها بقولها: (حمداً لله وشكراً ! لقد أصبح هذا الزوج الغيور قسيساً ، ولكنى لن أبوح له بما يود معرفته ، ويتوق اللحظة إلى سماعه !) ثم تظاهرت بأنها لم تعرفه وارتمت تحت قدميه وقبلت يديه بذلة وخشوع وقالت :

— بالرغم من أننى متزوجة من رجل غنى كما تعلم ، إلا أننى أحب يا أبتى قسيساً يأتى إلى منزلى ويبيت فى مخدعى كل ليلة !

فدهش الزوج لهذا الاعتراف الفاضح ولكنه أخفى دهشته بكل مشقة وصعوبة لأنه أراد الوثوق من هذا الأمر ، والتأكد من معرفته ، فقال لزوجته وقد بهت لونه ، وأكفهرت سحنته:

— وكيف ذلك يا ابنتى ؟ ألا يقضى زوجك الليل فى مخدعك؟

فقالت زوجته وهى تخفى براحة يدها ابتسامة خفيفة ارتسمت على شفتيها :

— بلى ياسيدى ...

فقال الزوج وقد زادت دهشته عن ذى قبل :

— وكيف يبيت إذن هذا القسيس فى مخدعك فى الوقت الذى يكون فيه زوجك موجوداً معك؟

فتظاهرت الزوجة بالغرابة لهذا السؤال وقالت :

— لست أدرى ذلك تماماً ياسيدى ، ولكنى أعتقد أنه ليس هناك باب إلا ويفتح بمجرد ملامسة هذا القسيس له . وقد أخبرنى أنه يتلو عند مجيئه إلى منزلى تعويذة غريبة فتلقى بزوجى المسكين من فراشه على الأرض وتجعله يروح فى سبات عميق دون أن يدرى بمجيئه ، أو يحس بزيارته لى !

فارتبك الزوج فى موقفه ارتباكا شديداً وقال لها وهو يحاول أن يكظم غيظه ، ويكبح جماح غضبه :

— إننى أرثى حقاً لحالتك ياسيدتى ، ولكن ليس لك عندى مع الأسف أى حل . وكل ما أستطيع أن أفعله أننى سأصلى كل ليلة من أجلك ، وسأرسل إليك — فضلا عن ذلك — رسولا من قبلى بين الفينة والفينة لأرى نتيجة صلاتى لك ، عسى أن يغفر الله لك ويبعد عنك هذا القسيس إلى الأبد ...

فتظاهرت السيدة بالخوف الشديد وقالت :

— لا ترسل بربك أحداً إلى منزلى لأن زوجى شديد الغيرة على!

ولكن القسيس — أو الزوج — طمأنها بقوله :

— لا تهتمى بذلك مطلقاً لأننى سأتخذ الحيطة اللازمة لذلك.

فقالت السيدة وهى تهم بالوقوف :

— إذا استطعت أن تفعل ياسيدى ، فإنى لن أنسى لك هذا

الصنيع ما حييت ، وسأكون مدينة لك بشكرى مدى العمر بالرغم من أننى أحب هذا القسيس حباً جماً ولا أطيق فراقه عنى بأى حال!

قالت ذلك ثم غادرت الكنيسة على عجل وهى تضحك فى سرها من سذاجة زوجها الذى كان يتميز من الغيظ ، ويقرض على أسنانه من شدة الغضب ! وألقى الزوج بعد أن تركته زوجته بقلنسوة القسيس وردائه على الأرض ثم هرع من فوره إلى منزله . فلما وصل إليه خاطب زوجته بعد أن فكر ملياً فى هذا الأمر ، ودبر خطته للانتقام منها ومن القسيس الذى يأتى لزيارتها كل ليلة فقال:

— سأتناول الليلة عشائى خارج المنزل لدى أحد أصدقائى ، وإذا تأخرت قليلا فلا تقلقى لغيابى لأنى سأقضى سهرتى عنده .

وقبل أن يغادر المنزل حدجها بنظرة حادة صارمة ثم قال لها بغلظة وجفاء :

— لا تنسى أن تغلقى ورائى باب المنزل بالمزلاج ، وكذا باب مسكنك ، بل وباب غرفة نومك كذلك إذا شئت أن تأوى إلى فراشك مبكرة ...

ففهمت السيدة غرضه وابتسمت له على كره منها ثم تمنت له ليلة طيبة دون أن تسأله عن المكان الذى سيقضى فيه سهرته ...

ولما غادر المنزل هرعت إلى الثغرة وأخبرت فلبو الذى كان فى انتظارها بكل ما حدث لها مع زوجها فى صباح ذلك اليوم ، ثم قالت له وهى تضحك ملء شدقيها :

— إننى واثقة من أن زوجى لن يتحول هذه الليلة من أمام المنزل ليتسنى له القبض على هذا القسيس المزعوم فهل يمكنك أن تأتى إلى فى المساء عن طريق سطح منزلك لنتبادل الأحاديث الحلوة والأقاصيص الشهية ؟

فأجابها فلبو وهو يكاد يطير من شدة الفرح لهذا اللقاء القريب الذى كان لا يشتهى فى الدنيا غيره :

— سأحاول ذلك يا عزيزتى .

فلما أقبل المساء تسلح الزوج بهراوة ثقيلة واختبأ خلف بوابة قريبة من المنزل . ثم وقف ينتظر على مضض مجىء ذلك القسيس الذى اعترفت له زوجته بأنها تحبه ! وقد حدث ذلك فى نفس الوقت الذى ذهب فيه فلبو إلى مسكن معشوقته عن طريق سطح منزله ! وظل الإثنان فى لهو ومرح إلى ساعة متأخرة من الليل ، ثم عاد الشاب ثانية إلى مسكنه !

فلما بزغ النهار عاد الزوج إلى بيته بعد أن فرغ صبره ، وجمدت أطرافه من شدة البرد ! ثم ذهب إلى غرفة نومه وهو خائر القوى ، منهوك الأعصاب ، واستلقى على فراشه وراح فى سبات عميق ! فلما استيقظ من نومه غادر المنزل ثم أوفد إلى زوجته رسولا من قبله على زعم أنه موفد من القسيس الذى اعترفت له بخطاياها بالأمس ، عما إذا كان القسيس قد جاء لزيارتها فى الليلة الماضية أم لا ؟ فأجابته السيدة بقولها :

— لا ! إنه لم يأت فى الليلة الماضية ، وإذا انقطع عن زيارتى عدة ليال أخرى فإننى لن ألبث أن أنساه بمضى الزمن وإن كنت سأتألم بعض الشىء لغيابه عنى ، وانقطاعه عن زيارتى !!

وكرر الزوج مراقبته للقسيس الموهوم عدة ليال فى الوقت الذى تلهو فيه زوجته مع جارها فلبو كل ليلة دون أن يدرى أحد من أمرها شيئاً ! فلما عيل صبره ، ولم يجد أدنى فائدة من تلك المراقبة ، سأل زوجته ذات يوم وشرر الغضب يتطاير من عينيه ، والحنق الكامن فى أعماق نفسه يلوح على أسارير وجهه المتجهم فقال :

— ما الذى اعترفت به للقسيس فى صبيحة يوم عيد الميلاد ؟

فذعرت زوجته لهذا السؤال المفاجىء ، ولاذت بالصمت المطبق ، والسكوت العميق ، فلما كرر عليها زوجها هذا السؤال استولى عليها الغضب ثم التفتت نحوه وقالت :

— أظن أنه ليس من حقك ، ولا من حق أى إنسان آخر أن أطلعك على أسرارى ، أو أكاشفك بخبيئة نفسى !

فازداد غضب الزوج لهذا الرد وقال :

— أيتها المرأة المنافقة ، والمخادعة الشريرة ، إننى على علم بكل ما اعترفت به فى الكنيسة ، وسأجبرك الآن على إخبارى بكل شىء عن ذلك القسيس الذى يبيت فى مخدعك كل ليلة ...

فلم تكترث زوجته لتهديده وقالت :

— إننى لا أستقبل فى مخدعى أحداً سواك ...

ولكن الزوج الغاضب لم يقتنع بإجابتها وانفجر فيها قائلا :

— ماذا تقولين ؟ أتنكرين هذا أيتها الحية الرقطاء ؟ أو لم تخبرى القسيس الذى اعترفت أمامه بذلك ؟

فنظرت إليه زوجته نظرة شزراء ثم قالت له بجرأة وثبات :

— إنني لا أنكر شيئاً مما قلته له ، ومادمت قد سمعت اعترافي كاملا فلا حاجة بي إلى تكراره أمامك مرة أخرى !

فقال لها زوجها وهو يعجب من شجاعتها ورباطة جأشها :

— والآن ما دمت قد اعترفت بخطيئتك ، وكاشفتني بإثمك فيجب أن تخبريني بكل شيء عن هذا القسيس العاشق ، وإلا فالويل لكما مني معاً ... ...

فهزت زوجته كتفيها بسخرية واستخفاف ولم تأبه لوعيده أو تكترث لغضبه ، ثم أرادت أن تلقي عليه في تلك اللحظة درساً قاسياً لا ينساه مدى الحياة ، فقالت له بصوت هادىء ، وعبارة متزنة هادئة :

— إنني في أشد العجب من تلك الغيرة العمياء التي تظهرها نحوي في كل وقت ، وبدون سبب . أتظنني غبية قصيرة النظر مثلك ؟ لا ! فلقد عرفت لأول وهلة أن القسيس الذي اعترفت أمامه بخطاياي هو أنت دون غيرك ! ولكني أردت أن أثير انتباهك بهذه الحكاية الملفقة ، وأظنني قد نجحت في ذلك إلى حد بعيد ! ولو كنت عاقلا حقاً لما حاولت الإطلاع على أسرار زوجتك بهذا الشكل المزري القبيح ! ولكن الغيرة — قاتلها الله — أعمت بصيرتك ، وذهبت بلبك وجعلتك عاجزاً عن تبيان الحقيقة الواضحة أمامك وضوح الشمس في رابعة النهار ! ولقد اعتقدت خطأ أن كل كلمة من كلامي إنما هي حقيقة ثابتة لا شك فيها ، وغاب عنك أنها محض اختلاق ، ولم تكن إلا مجرد درس لك ولأمثالك من الأزواج الذين تعمي الغيرة الحمقاء عيونهم عن معرفة أبسط قواعد اللياقة والذوق ! ولقد قلت في اعترافي إنني أحب قسيساً ، أفلم تكن أنت ذلك القسيس الذي كنت أحبه في تلك اللحظة التي اعترفت فيها أمامك ؟ وقد قلت أيضاً إنه لا يعصى عليه أي باب عند ما يأتي إلى منزلي وهل هنا لك باب في منزلك يستعصى عليك دخوله ؟ ولقد قلت أخيراً إن هذا القسيس يبيت في مخدعي كل ليلة ، أو لا تفعل ذلك حقاً يازوجي العزيز ؟ وكلما أوفدت إلي رسولا من قبلك ليسألني عما إذا كان القسيس لا يزال يكرر زياراته لي كنت أجيبه بالنفي ، وهذه حقيقة لا شك فيها لأنك اعتدت أن تسهر إلى ساعة متأخرة من الليل خارج منزلك منذ اليوم الذي اعترفت فيه أمامك في الكنيسة ، حتى ظننت بدوري أنك تقضي سهراتك عند امرأة سواي وتلهو معها ماشاء لك اللهو والمجون! وقد كان يجب عليك أن تفهم كل هذه الحقائق بنفسك دون أن تكلفني عناء شرحها وتوضيحها لك !

وهنا تظاهرت أمامه بالبكاء فاغرورقت عيناها بالدموع وقالت له بلهجة مؤثرة ، وصوت مختنق النبرات :

— فكر في هذا الأمر الشين بك ياعزيزي ، واطرح عنك هذه الغيرة والعمياء التي نغصت علينا صفونا وراحتنا . وإذا كنت تعتقد أنك بحبسك لي بين جدران منزلك تمنعني من اللهو والعبث مع غيرك ، وبحول بيني وبين تحقيق رغباتي ، فأنت جد مخطىء في ذلك يازوجي العزيز ، لأن المرأة كما تعلم لا يقف أمامها أي حائل ، ولا يمكن لأي مخلوق مهما كان ، أن يعترض سبيلها إذا هي أرادت ذلك بمحض مشيئتها ورغبتها ...

فلما سمع الزوج ذلك تأثر لكلامها ، وأحس بالحسرة والندم على ما فعل ، ثم أبعد عنه هذه الغيرة التي سببت له كل هذا التعب والعناء ! وفي الوقت الذي كان يجب عليه فيه أن يثار لحليلته ، ويشدد في مراقبته لها ، تراه قد أهمل هذا الأمر إهمالا تاماً وترك حبل الأمور على غاربها ! وزيادة على ذلك فقد صرح لها بالخروج في أي يوم تشاء ، وفي أية ساعة ترغب ، ولم يعد يهتم كثيراً بغيابها عن المنزل أو عدم غيابها ! فلما نالت الزوجة حريتها ، واطمأنت إلى عدم شك زوجها في وفائها ، تمادت في غيها ، وأوغلت في ضلالتها ، وأصبح حبيبها فليبو يقابلها مرة أو مرتين في اليوم . فاذا تصادف وحضر زوجها في أثناء وجوده فسرعان ما يفر إلى مسكنه عن طريق سطح منزله دون أن يدري به أحد ، أو يعلم بأمره إنسان !

وهكذا ظل العاشقان يرتشفان معاً كؤوس الهوى حتى الثمالة بعد أن أفلحت الزوجة في خطتها ، ونجحت في الانتقام من زوجها!

اسكندرية

محمد عبد اللطيف حسن